

البَابُ الثَّالِثُ

فِي آدَابِ الْمُعَلِّمِ^(١) وَالْمُتَعَلِّمِ

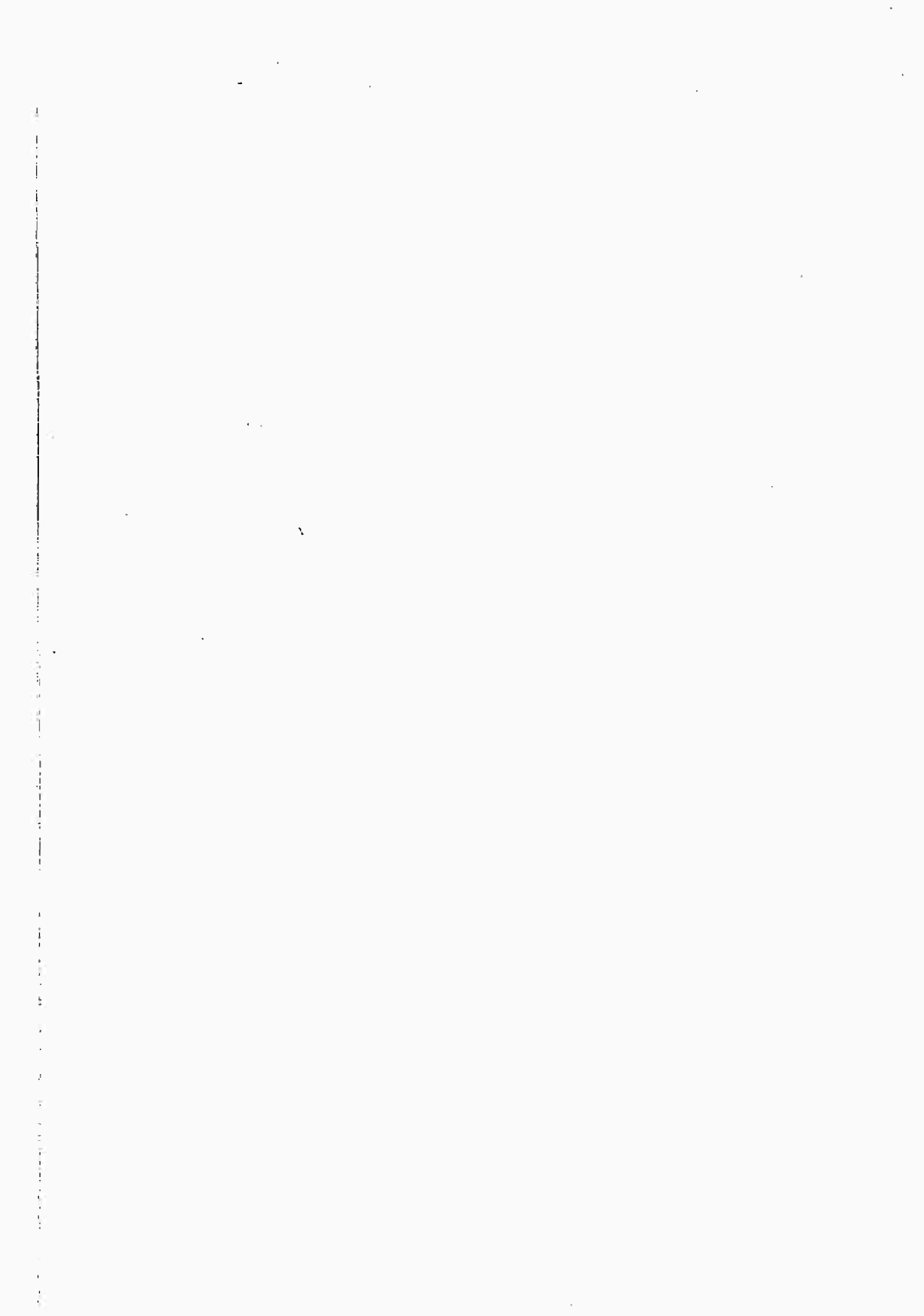
وهي ثلاثة أنواع :

النوع الأول : آدابهما في نفسيهما وفي مجلس الدرس .

النوع الثاني : آداب يختص بها المعلم . وقد يشاركه في بعضها المتعلم .

النوع الثالث : آداب يختص بها المتعلم .

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم ١٥



النوع الأول

آدابهما في نفسيهما. وآدابهما في مجلس الدرس

فأما آدابهما في نفسيهما:

فمنها: أول ما يجب على كلٍّ منهما أن يقصد وجه الله بأشغاله واشتغاله لا لِمَالٍ ولا جرة، أو شهوة، أو سمعة، أو تمييز عن الأشباه أو تكثر بالمشتغلين عليه، أو المختلفين إليه، ولا يَشِينَ علمه أو تعليمه بشيءٍ من الطَّمَعِ في رفقٍ يحصل من تلميذ، أو خدمة، أو مال وإن قلَّ ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله لما أهداها إليه كما أن المتعلم لا يَشِينُ طلبه بطمع في شيءٍ يُعطيه له الشيخ، أو أن ينزل اسمه في طلبه العلم لينال شيئاً من معلوم أو غيره، ودليلُ هذا كله ما مرَّ في تحذير مَنْ أراد بعلمه غير الله وقد تقدّم في أوّل الفصل الثاني من الباب الأوّل^(١)، قال سفيان بن عيينة^(٢): كنت قد أُوتيتُ فهم القرآن، فلما قُبِلْتُ الصُّرَّةُ من أبي جعفر سُلِبَتْهُ^(٣)، وقد صحَّ عن الشافعي أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم، وما نسب إليَّ شيءٌ منه^(٤)، وقال رحمته الله: ما ناظرتُ أحداً وأحببتُ أن يخطئ^(٥)، وقال رحمته الله: ما أوردتُ الحقَّ والحجةَ على أحدٍ

(١) انظر ص ١٠ فما بعد من هذا الكتاب.

(٢) هو أبو محمد، سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي: محدث الحرم المكي، من الموالى كان حافظاً ثقة، واسع العلم، كبير القدر، وكان أعور، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، ولد بالكوفة، وسكن مكة، وتوفي بها سنة ١٩٨هـ، تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤، والأعلام ١٠٥/٣.

(٣) تذكره السامع والمتكلم ص ١٨، وهو يقصد هنا أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي، والجامع لأدب الراوي وأخلاقه السامع ١/ ٣٦٧.

(٤) تذكره السامع والمتكلم ص ١٩، وكتاب العلم للنوري ص ٨٧.

(٥) صفوة صفوة ٢/ ٢٥١، وكتاب العلم للنوري ص ٨٧.

فقبلها متى إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرنى على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني^(١) وعن أبى يوسف^(٢) يا قوم أريدوا بعلمكم الله، فإنى لم أجلس مجلساً قط أنوى فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوى فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفترض^(٣).

ومنها: أن يكون كل منهما قوى اليقين، الذى هو رأس مال الإيمان كله قال عليه السلام: «الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ»^(٤)، وقال عليه السلام: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ»^(٥).

ومنها: أن يحافظ^(٦) على القيام بشعائر الإسلام، وظواهر الأحكام كإقامة الصلوات فى مساجد الجماعات، وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبر على الأذى بسبب ذلك، صادقاً بالحق عند السلاطين باذلاً نفسه لله، لا يخاف فيه لومة لائم ذاكراً قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

وكذلك يقوم^(٧) بإظهار السنن، وإخماد البدع، ويقوم لله فى أمور الدين وما فيه من مصالح المسلمين على الطريق المشروع، والمسلك المطبوع، ولا

(١) صفوة الصفوة ٢/ ٢٥١، وكتاب العلم للنورى ص ٨٧.

(٢) هو أبو يوسف القاضى، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفى البغدادى، صاحب الإمام أبى حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه: كان فقيهاً علامة، من حفاظ الحديث، ولد بالكوفة، وتفقه بالحديث والرواية، وكان واسع العلم بالتفسير والمغازى وأيام العرب، ولى القضاء ببغداد أيام المهدي والهادى والرشيد، ومات فى خلافته ببغداد سنة ١٨٢ هـ، وهو على القضاء، وفيات الأعيان ٦/ ٣٧٨، والسير ٨/ ٤٧٠.

(٣) كتاب العلم للنورى ص ٨٧ - ٨٨، فيض القدير ٣/ ٢٧٤.

(٤) المصنوع للقارى ١/ ٢١٨، تغليق التعليق لابن حجر العسقلانى ٢/ ٢١، كشف الخفاء ٢/ ٥٥٥، وفيه: (قال الصغانى: موضوع كما نقله عن القارى)

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٩٩، وإتحاف السادة المتقين ١/ ٤٠٩ وتخرج الإحياء ١/ ٧٢، وكتر العمال حديث رقم ٧٣٣٧.

(٦) أى يحافظ كل منهما.

(٧) أى كل من العالم والمتعلم.

يرضى من أفعاله الظاهرة والباطنة بالجائز منها، بل يأخذُ بالأكمل فإن العلماء هم القدوة وإليهم المرجع فى الأحكام، وهم حُجَّةُ اللَّهِ على العوام، وقد يراقبُهُم للأخذ عنهم مَنْ لا ينظرونه، ويقتدى بهديهم مَنْ لا يعلمونه، وإذا لم يَتَنَعِ الْعَالَمُ بعلمه فغيره أبعدُ عن الانتفاع به، كما قال الشافعى: ليس العلمُ ما حُفِظَ، العلمُ ما نَفَعَ^(١)، ولهذا عَظُمَت زِلَّةُ الْعَالَمِ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ لاقتداء الناس به.

ومنها: أَنْ يَتَخَلَّقَ كُلُّ مِنْهُمَا بِالْمَحَاسِنِ^(٢) التى ورد الشَّرْعُ بِهَا مِنَ الزُّهْدِ وَالسَّخَاءِ وَالْجُودِ وَطَلَاةِ الْوَجْهِ، مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ الْخُلَاعَةِ، وَكُظْمِ الْغِيْظِ، وَكَفِّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ، وَاحْتِمَالِهِ مِنْهُمْ، وَأَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ دُنْيَا الْاِكْسَابِ طَبْعًا، وَمَكْرُوْهَهَا شَرْعًا، كَالْحِجَامَةِ، وَالدَّبَاغَةِ، وَالصِّيَاغَةِ، وَمِلَازِمَةِ الْوَرَعِ وَالْخَشْيَةِ، وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَالتَّوَاضُّعِ وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَالْإِيْثَارِ وَتَرْكِ الْاِسْتِثَارِ، وَالْإِنْصَافِ وَتَرْكِ الْاِسْتِنْصَافِ، وَشُكْرِ الْمُتَفَضَّلِ، وَالسَّعْيِ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَبَذْلِ الْجَاهِ وَالشَّفَاعَاتِ، وَالتَّلَطُّفِ بِالْفُقَرَاءِ، وَالتَّحَبُّبِ إِلَى الْجِيرَانِ وَالْأَقْرِبَاءِ، وَمُجَانِبَةِ الْإِكْثَارِ مِنَ الضَّحِكِ وَالْمَزَاحِ^(٣) فَإِنَّهُ يَقْلُلُ الْهَيْئَةَ وَيُسْقِطُ الْحَشْمَةَ كَمَا قِيلَ مِنْ مَزَحٍ اسْتُخْفَ بِهِ، مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ^(٤).

ومنها: أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ الْخَوْفَ وَالْحَزْنَ وَالْاِنْكَسَارَ وَالصَّمْتَ، وَيُظْهَرَ الْخَشْيَةَ

(١) حلية الأولياء ١٢٣/٩، المدخل إلى السنن الكبرى ٣٢٥/١ تهذيب الأسماء ٧٥/١، سير أعلام النبلاء ٨٩/١٠.

(٢) كتاب العلم للنوى ص ٨٨.

(٣) انظر هنا المزاح الجائز من المزاح الحرام كتاب (المزاح فى المزاح).

(٤) هو من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر المعجم الأوسط ٣٧٠/٢، مسند الشهاب ٢٣٧/١، وشعب الإيمان ٢٥٧/٤ و ٢٦٣ وفتح البارى ٢٩/٧، التمهيد لابن عبد البر ١٨٥/٧، وفيض القدير ٢١٣/٦.

عَلَى هَيْئَتِهِ وَكَسَوْتِهِ، لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ نَازِرٌ إِلَّا وَيَكُونُ نَظَرُهُ مَذْكُراً بِاللَّهِ، وَتَكُونُ صَوْرَتُهُ دَلِيلًا عَلَى عِلْمِهِ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَعْلَمُوا الْعِلْمَ، وَتَعْلَمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ، وَلِيَتَوَاضَعَ لَكُمْ مَنْ يَتَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ^(١) وَفِي الْخَبَرِ: إِنَّ مِنْ خِيَارِ أُمَّتِي قَوْمٌ يَضْحَكُونَ جَهْرًا مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَبْكُونَ سِرًّا مِنْ خَوْفِ عَذَابِهِ، أَبْدَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَقُلُوبُهُمْ فِي السَّمَاءِ، أَرْوَاحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ^(٢).

ومنها: ملازمة الآداب الشرعية القولية والفعلية، الظاهرة والخفية، كتلاوة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان، والدعوات والأذكار آتاء الليل وأطراف النهار ومن^(٣) نوافل العبادات من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام والصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمحبتة^(٤) وإجلاله وتعظيمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجب، فكان الإمام مالك إذا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغير وجهه وينحني^(٥)، وكان جعفر بن محمد^(٦) إذا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصفر^(٧) وكان القاسم^(٨) إذا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجف لسانه في

- (١) شعب الإيمان ٢/٢٨٧، والزهد لابن أبي عاصم ١/١٢٠ والفردوس بمائور الخطاب ١/٧٩، وفيض القدير ٣/٢٧٤ وانظر أيضاً الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/٩٣.
(٢) شعب الإيمان ١/٤٧٨ والمستدرک علی الصحیحین ٣/١٩ وحلية الأولياء ١/١٦ والإصابة ٤/٧٥٤.

(٣) أي: وأن يكثر من نوافل العبادات. (٤) المقصود به النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢١، ٢٢.

(٦) هو أبو عبد الله، جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة بالعلم، أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لانه لم يعرف عنه الكذب قط، له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق، توفي في المدينة سنة ١٤٨هـ.

(٧) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢.

(٨) في تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢: (كان ابن القاسم إذا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...). وقال المحقق: هو عبد الله بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك.

فيه هَيْبَةٌ لرسول الله ﷺ^(١)، وينبغي إذا تُلِيَ^(٢) القرآن أن يتفكَّرَ في معانيه وأوامره ونواهيه، وليحذر من نسيانه بعد حفظه، وأن يقرأ القرآن في كل سبعة أيام^(٣) فهو ورد حسنٌ ويقال من قرأ القرآن في كل سبعة أيام لم ينسه قطُّ^(٤)، وأن يكون له وردٌ راتبٌ كلَّ يومٍ لا يُخلُّ به.

ومن الآداب: التنظيف بإزالة الأوساخ، وقصّ الأظفار، وإزالة الشعورِ المطلوب زوالها، واجتناب الروائح الكريهة، وتسريح اللحية، وليجتهد في الإخلاص في التوبة والدوام عليها من الأفعال الذميمة^(٥)، وليلزم الأفعال الحميدة الظاهرة والباطنة، والمقامات العلية، والأحوال السنية، وأعلهاها محبةُ الله الجامعة لكلِّ فائدة، المُجَنَّبَةُ لكلِّ خَصْلَةٍ فاسدة، وكذلك محبةُ رسوله ﷺ واتباعه، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) الآية.

ومنها: أن يطهَّرَ^(٦) نفسه من الخبائث الباطنة، من مساوئ الأخلاق، ومذموم الأوصاف كالحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس والغلّ والبغى والغضب لغير الله والغشِّ إلى غير ذلك من تعدّد أوصاف خبائث النفس، فكما لا تصحُّ الصلاة التي هي وظيفة الجوارح إلّا بتطهير الأحداث والأخبائث، فكذلك لا تصحُّ عبادة الباطن إلّا بعد طهارته من خبائث الأخلاق، قال النبي ﷺ: بُنِيَ الدِّينُ عَلَى النَّظَافَةِ^(٧)، وَالْقَلْبُ مَنَزِلُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهَبْتُ أَثَرَهُمْ وقال

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢.

(٢) انظر فضائل القرآن لأبي عبيدة القاسم بن سلام ص ١١١ - ٢١٥ (بتحقيقنا).

(٣) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ١٧٧ (بتحقيقنا) وجمال القراء للسخاوي ١/ ١٨٩ (بتحقيقنا).

(٤) قلت: وهذا أصلٌ ابتدع السبع الحسن.

(٥) الجار والمجرور في قوله من الأفعال الذميمة متعلق بالمصدر، وهو إخلاص، أي في إخلاص التوبة من الأفعال الذميمة ولا يكون متعلقا بالدوام فيفسد المعنى.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٣ - ٢٤.

(٧) المصنوع للقارّى ١/ ٧٧، وكشف الخفاء ١/ ٣٤١.

عليه السلام: لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ^(١)، والصفات الرديئة في القلب كلابٌ نايحةٌ، ونور العلم لَا يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾^(٢) (الشورى: ٥١) وقال ابن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نورٌ يَقْذِفُ فِي الْقَلْبِ^(٣)، ووعظ بعضهم فقال: طهروا قلوبكم من الأغيار تصلح لتزول القرآن والأنوار، طهر المنزل حتى يتزل، ومن حصل له الساكن طابت له المساكن، ومن لم تَفْتَحْ له المنازل رضى بسكنى المزابل (من المديد):

إِنَّ بَيْتًا أَنْتَ سَاكِنُهُ

غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى السُّرُجِ^(٤)

ومريضًا أَنْتَ عَائِدُهُ

قَدْ أَتَاهُ اللَّهُ بِالْفُرَجِ

وجهك المأمول حجتنا

يوم تأتي الناسُ بِالْحُجَجِ

وكان الشبلي^(٥) يقول (من المقتضب):

(١) من النسائي ١٨٥/٧، والاحوذى ٧٢/٨ والسنن الكبرى ١٤٨/٣، وشرح النووي على صحيح

مسلم ٨٤/١٤، ومسلم رقم ٢١٠٧ في اللباس، والترمذى رقم ٢٤٧٠ في صفة القيامة، وأبو داود

٤٠٥٣ في اللباس، وانظر جامع الأصول ٨٠٣/٤ - ٨٠٨.

(٢) وحياً بواسطة الملك. أو من وراء حجاب، نودى يا موسى، أو يُرْسِلَ رَسُولًا ليلغ أُمَّتَه فيكون

بين الحق وبين المُبْلَغ من الأمة اثنان: الرسول والملك وبين الرسول والحق جلّ جلاله واحدٌ

وهو الملك.

(٣) وينسب هذا القول للإمام مالك، انظر تفسير ابن كثير ٥٥٥/٣، والجامع لاخلق الراوى ١٧٤/٢

وفيض القدير ١١٩/١ ر ٣٨٨/٩، وحلية الأولياء ٣١٩/٦.

(٤) لأبي بكر الشبلي كما في المدهش ٢١/١، وهو مما نسبت إليه كما في ديوانه ص ١٣٩.

(٥) هو أبو بكر، ودُلف بن جعفر الشبلي: ناسك، كان في مبدأ أمره واليًا في دنباوند، ثم ولى

الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة،

فاشتهر بالصلاح له شعر جيد، سلك فيه مسالك المتصوفة أمثال: ... رتبته إلى =

اطلبوا لأنفسكم
 مثل ما وجدتُ أنا^(١)
 قد وجدتُ لى سكناً
 ليس يُشبهه السكنا
 إن دَنوتُ قَرَبَنى
 أو بَعُدتُ عنه دَنَا

وقد ابتلى بعض أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثيرٍ من هذه الصفات الذميمة إلا من عصمه الله، وأدوية ذلك مستوفاة في كتب الرقائق ومن أنفعها كتاب الرعاية^(٢) للمحاسبي^(٣).

ومن أدوية الحسد أن يعلم أن حكمة الله اقتضت جعلَ هذا الفضل في هذا الإنسان فلا يعترض ولا يكره، فإن اعترضَ وكره فسنة الله في مثل هذا جرت أن يسلبه حالته التي أنعم بها عليه وأن يزيدَ محسوده نعمةً لشكره وتواضعه وعدم غَضبه لنفسه، وما أحسنَ ما قال الإمام المعافى بن زكريا الموصلي^(٤) (من المتقارب):

= قرية (شبله) من قرى ما وراء النهر، توفي في بغداد سنة ٣٣٤هـ، تاريخ بغداد ٣٨٩/١٤، والأعلام ٣٤١/٢.

(١) ليست في ديوانه، وهى فى المدهش ٤٧٥/١ بلا نسبة

(٢) هو كتاب: «الرعاية لحقوق الله عز وجل» وهو مطبوع مشهور وانظر تذكرة السامع والمتكلم ٢٤.

(٣) هو أبو عبد الله، الحارث بن أسد المحاسبي: من أكابر الصوفية كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وهو أستاذ أكثر البغداديين فى عصره، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد سنة ٢٤٣هـ، تاريخ بغداد ٢١١/٨، والأعلام ١٥٣/٢.

(٤) هو أبو الفرج ابن طرار، المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهروانى: قاضٍ، من الأدباء الفقهاء، له شعر جيد، مولده ووفاته بالنهروان فى العراق، ولى القضاء ببغداد، نيابة، وقيل له الجريرى لأنه كان على مذهب «ابن جرير الطبرى» له تصانيف ممتعة ومفيدة فى الأدب وغيره، قال السيوطى: كان من أعلم الناس فى وقته بالنحو واللغة والفقه وأصناف الأدب، ثقة، توفي فى سنة ٣٩٠هـ، وفيات الأعيان ٢٢١/٥، وطبقات الحنظ ٤١٧.

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا
 أَتَذَرِي عَلَى مِنْ أَسْأَتِ الْأَدَبِ^(١)
 أَسْأَتَ عَلَى اللَّهِ فِي فَعْلِهِ
 لَأَنْتَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبُ
 فَجَازَاكَ عَنِي بِأَنْ زَادَنِي
 وَسَدَّ عَلَيْكَ وَجُوهَ الطَّلَبِ
 وَلَأَبَى حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْحَسَدِ (مَنْ الْبَسِيطُ):
 إِنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ
 قَبْلِي كَثِيرًا أَهَالِي الْفَضْلُ قَدْ حَسَدُوا^(٢)
 فَدَامَ بِي وَبِهِمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ
 وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ

ومن أدوية الرياء أن يعلم أن الخلق لا يقدرُونَ عَلَى نفعه ولا ضَرَّهُ بما لم يقدره الله تعالى عليه، فلا يتشاغل بمراعاتهم فيتعب نفسه، ويرتكب سخطَ الله مع أن الله يُطلعهم عَلَى نيته وسريته في رِئائه لهم وخوفه منهم.
 ومن أدوية الإعجاب أن يعلم أن علمه وفهمه وجودة ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النعم فضلٌ من المنعم جل وعلا وهو معه عارية وأمانة، وأن مُعْطِيه إياها قادرٌ عَلَى سلبها منه في طرفة عين، كما سلب بلعام^(٣) ما علمه في طرفة عين، نسأل الله السلامة.

(١) الأبيات في تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٢٢، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٥٤.

(٢) البيت للبيد بن عطار بن حاجب التميمي كما في بهجة المجالس ١/ ٤١٣، وانظر طبقات الحنفية ١/ ٤٩٨، وشرح الحماسة ١/ ٣٨١.

(٣) هو بلعام بن باعوراء، من بني إسرائيل الذي دعا على موسى عليه السلام وقومه، وقصته مذكورة في التفسير، وفيه أنزل الله عز وجل الآيتين ١٧٤ - ١٧٥ من سورة الاعراف.
 قال الإمام الغزالي: فكذلك العالم الفاجر، فإن بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشبهات.

ومن أدوية الاحتقار^(١) التأدب بما أدب الله تعالى به عباده، قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الحجرات: ١١) وقال تعالى: ﴿فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) فربما كان هذا الذي دونه أظهر قلباً، وأخلص نية، وأزكى عملاً، كما قيل: إن الله تعالى أفى ثلاثة في ثلاثة: وليه في عباده، ورضاه في طاعته وغضبه في معاصيه^(٢)، ثم إن المحتقر لا يعلم بماذا يختم له، ففي الصحيح: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٣).... الحديث، نسأل الله العافية من كل داء.

ومنها: أن يتجنب مواضع التهم، فإنه يُعرض نفسه وعرضه للوقوع في الظنون المكروهة، فإن اتفق له وقوع شيء من ذلك لحاجة أخبر من شاهده وأصحابه بحقيقة ذلك الفعل لئلا يَأْثَمُوا بظنهم الباطل ولئلا ينفروا عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢) ومن هذا الحديث الصحيح: إن رسول الله ﷺ قال لِلرَّجُلَيْنِ لَمَّا رَأَيَاهُ يَتَحَدَّثُ مَعَ صَفِيَّةَ^(٤) فَوَلَّيَا: عَلَى رِسَالِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةٌ، ثم قال: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ فَخَفْتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا، وَرَوَى فَتَهْلِكَا^(٥).

= فشبّه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أو لم يأت فهو يلهث الإحياء ٤٥/١، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ٣٠٣/٧، والطبري ٨٢/٨، وابن كثير ٢٦٧/٢ وانظر هذا الكلام فى تذكرة السامع والمتكلم ٢٥.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٢٦.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٢٦.

(٣) رواه البخارى ٤١٧/١١، ومسلم ٢٦٤٣، وأبو داود ٤٧٠٨، والترمذى ٢١٨٣، وأحمد ٢٨٣/١، والبيهقى ٧١.

(٤) هى أم المؤمنين، صفية بنت حُيَّ بن أخطب، من الخزرج، من أزواج النبی ﷺ، كانت فى الجاهلية من ذوات الشرف، تدين باليهودية، من أهل المدينة المنورة، ثم أسلمت، فتزوجها رسول الله ﷺ، توفيت فى المدينة سنة ٥٠هـ، الإصابة (كتاب النساء) ترجمة رقم ٦٤٧.

(٥) الحديث فى صحيح مسلم عن صفية بنت حُيَّ بن أخطب ٢١٦/٢ حديث رقم ٢١٧٥، والبخارى ٢٤٠/٤، وأبو داود ٢٤٧٠، وأحمد ١٥٦/٣، والبيهقى ٤٢٠٨١، وانظر أيضاً تذكرة السامع والمتكلم ٢٠، وكتاب العلم للنوى ٨٩.

ومنها: أن يكون^(١) زاهداً في الدنيا غير مُبالٍ بفواتها مقتصداً في مطعمه وملبسه وأثاثه ومسكنه غير مترفه تشبيهاً بالسلف، ويتأكد في حق الطالب أن يُقلِّل علاقته من أشغال الدنيا، ويبعدَ عن الأهل والوطن، فإنَّ العلاقة شاغلة وصارفة، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ (الاحزاب: ٤) ونقل يحيى بن معاذ الرازي^(٢): إنه كان يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قيصريَّة، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم طاهريَّة، وأخفافكم جالوتيَّة، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآثمكم جاهليَّة، ومذاهبكم شيطانيَّة، فأين المحمديَّة^(٣)؟ وقوله طاهريَّة بالطاء المهملة نسبة لطاهر بن الحسين^(٤) المتولى على خراسان، وأقلَّ درجات العالم أن يستقذرَ المتعلِّق بالدنيا، فهو أولى باستقذارها في حق نفسه، وعن الشافعي رحمته الله لو أوصى لأعقل الناس صرف إلى الزُّهاد فليت شعري مَنْ أَحَقَّ من العلماء بزيادة العقل وكماله^(٥)؟ وقال يحيى بن معاذ^(٦): لو كانت الدنيا تبراً يَفنى، والآخرة خزناً يَبقى، لكان ينبغي للعاقل إيثَارَ الخزف الباقي على التبر الفاني، فكيف والدُّنيا خزف فانٍ، والآخرة تبرٌ باقٍ^(٧).

(١) تذكرة السامع والمتكلم ١٨.

(٢) هو أبو زكريا، يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الرى، أقام ببلخ، ومات في نيسابور سنة ٢٥٨هـ، تاريخ بغداد ٢٠٨/١٤، والحلية ٥٣/١٠، والأعلام ١٧٢/٨.

(٣) فيض القدير ٤١٩/٢.

(٤) هو أبو الطَّيِّب، ذو اليمينين، طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي: من كبار الزُّرراء والقواد، أدباً وحكمة وشجاعة، وهو الذي وطَّد الملك للمأمون العباسي، ولد في بوشنج (من أعمال خراسان) وسكن بغداد، ثم ولَّاه المأمون العراق وخراسان، وكان أعور، مات قتيلاً، أو مسموماً بمرور سنة ٢٠٧هـ، تاريخ بغداد ٣٥٣/٩، والأعلام ٢٢١/٣.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ١٨.

(٦) هو أبو زكريا الرازي: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الرى، أقام ببلخ، وله كلمات سائرة ماثورة، ومات في نيسابور سنة ٢٥٨هـ، الأعلام ١٧٢/٨.

(٧) تذكرة السامع والمتكلم ١٨، وفيض القدير ٤٨٣/١.

ومنها: أن يكون متقبضاً عن الملوك وأبناء الدنيا لا يدخل إليهم صيانة للعلم كما صانه علماء السلف، فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه لما لا قبل له به ولا طاقة، وخان أمانته، فإن العلم أمانة عنده، قال تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧) وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ﴾ (المائدة: ٤٤) الآية، إلى غير ذلك من الآيات، وقال ﷺ: «العلماء أمانة الرسل على عباده ما لم يخالفوا السلطان، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل على السلطان ولا يخلون بالنسوان ولا يخاصمن أهل الأهواء^(٢) قال الاوزاعي^(٣): ما شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور أميراً، وقال حذيفة^(٤) رضي الله عنه: إياكم ومواقف الفتن، قالوا: وما هو؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه في الكذب ويقول ما ليس فيه، فإن دعت إلى ذلك ضرورة أو مصلحة دينية فلا بأس^(٥)، وعلى هذا يحمل ما جاء عن بعض السلف في المشي إلى الملوك

(١) الفردوس ٣/٧٥، وكشف الخفاء ٢/٨٤، وميزان الاعتدال ٨/٨٤.

(٢) سنن الدارمي ١/١٠٢، والقرطبي ٧/١٤٠.

(٣) هو أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين، كان ثقة، مأموناً صدوقاً فاضلاً خيراً كثير الحديث والعلم والفقه، ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ، وفيات الأعيان ٢/١٢٧، وطبقات الحفاظ ٩٣.

(٤) هو أبو عبد الله، حذيفة بن حنبل بن جابر العبسي، واليمان لقب حصل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره وولاه عمر على المدائن (بفارس) وهاجم نهاوند وغزا الدينور، وماء سندان، ثم غزا همدان والري، وافتتحها كلها عنوة، توفي في المدائن سنة ٣٦هـ، الإصابة ترجمة رقم ١٦٥٢، وتهذيب التهذيب ٢/٢١٩.

(٥) شعب الإيمان ٧/٤٩، والتمهيد ١٣/٥٧، والحلية ١/٢٧٧.

وولاية الأمر على أنهم قصدوا بذلك حصول الأغراض الدنيوية المساعدة للأحوال الدينية فاعلمه والله أعلم.

ومنها: أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور، وإن اتفق عليها الجمهور^(١) فلا تغتر بإطباق الخلق على ما حدث بعد الصحابة، وكُن حريصاً على التفتيش عن سير الصحابة وأعمالهم، أكانوا مهتمين بالتصدير والمناظرة، والقضاء والولاية، وتولى الأوقاف والوصايا، ومال الأيتام، ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة، أو في الخوف والحزن، والتفكر والمجاهدة، إلى غير ذلك من علوم الباطن.

واعلم يقيناً أن أعلم أهل الزمان أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريقهم، فعنهم أخذ الدين، قال على رضي الله عنه: خيرنا أتبعنا لهذا الدين^(٢)، وقال ابن مسعود: أنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور، وسيأتي بعدكم زمان يكون خيركم المثبت المتوقف، لكثرة الشبهات^(٣) وقال حذيفة رضي الله عنه: أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وأن منكركم معروف زمان قد يأتي، وأنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق، وكان للعالم فيكم غير مستخف به^(٤).

قال الغزالي^(٥) وقد صدق، فأكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة إذ من غرر المعروف في زماننا تزيين المساجد، وإنفاق الأموال العظيمة في عمارتها، وبسط البسط الرفيعة فيها، ولقد كان يعد فرس البوارى

(١) أي الجمهور من الناس.

(٢) مسند البزار ٣/٩٧.

(٣) طبقات السبكي ٦/٣٨١، والإحياء ٤/٣٤٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٧/٢١١، وتهذيب الكمال ١٩/٥٢٩، والزهد لابن أبي عاصم ١/١٦٩.

(٥) هو أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف.

كان كثير الرحلات، له نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس، بخراسان)

توفي في سنة ٥٠٥ هـ، الوافي بالوفيات ١/٢٧٧، وطبقات الشافعية

فى المسجد بدعة، وقيل إنه من مُحدثات^(١) الحجاج^(٢)، فقد كان الأولون قُلَّ ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزًا.

ومن ذلك الاشتغال بدقائق الجدَل والمناظرة، ويعدّونه من أجلّ علوم الزّمان، ويزعمون أنه من أعظم القُرَبات، وقد كان ذلك من المنكرات. ومن ذلك التّفشُّفُ فى النّظافة، والوسواسُ فى الطّهارة، وتقدير النّجاسة البعيدة، فى نّجاسة الثّياب مع التّساهل فى حلّ الأُطعمة وتحريمها.

ومن ذلك^(٣) التّلعين فى الأذان والقراءات، والتّباهى بذلك إلى غير ذلك من النظائر، ولقد صدّق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: أنتم اليوم فى زمان، الهوى فيه تابعٌ للعلم، وسيأتى عليكم زمانٌ يكون العلمُ تابعاً للهوى^(٤) وكان هشام يقول لا تسألوهم اليومَ عما أحدثوا، فإنّهم أعدّوا له جواباً، ولكن سلوهم عن السنّة فإنّهم لا يعرفونها^(٥) وقال الحافظ أبو الفرج ابنُ الجوزى^(٦) فى كتابه: الأحاديث الموضوعة^(٧) بعد ذكره لحديث فى قراءة الفاتحة وآيات منها: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ عقيب الصلاة، هذا حديثٌ موضوعٌ كنتُ

(١) أى من المُحدثات المنكرة المعدة قُرْبَةً.

(٢) هو أبو محمد، الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى: قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ فى الطائف، ثم ولاء عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، وثبت له الإمارة عشرين سنة، وكان سفاكاً سفاكاً فاتكاً باتفاق معظم المؤرخين، وأخباره كثيرة، مات بواسط (التي بناها هو بين الكوفة والبصرة) سنة ٩٥هـ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٩، والسير ٤/ ٣٤٣.

(٣) أى من المنكرات.

(٤) الزاهد الكبير ٢/ ١٦٥.

(٦) هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى: علامة عصره فى التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته فى بغداد سنة ٥٩٧هـ، وفيات الأعيان ٣/ ١٤٠ والسير ٢١/ ٣٦٥، وطبقات الحفاظ ٥٠٢.

(٧) هو كتاب «الموضوعات» لابن الجوزى، وقد طبع بتحقيق عبد الرحمن بن محمد عثمان فى المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٦هـ، فى ثلاثة أجزاء.

سمعتُه في زمن الصبي فاستعملته نحواً من ثلاثين سنةً لحسن ظني بالرواة، فلما علمتُ أنه موضوع تركته، فقال لي قائل: أليس هو استعمالٌ خير؟ فقلت: استعمالُ الخير ينبغي أن يكون مشروعاً، فإذا علمنا أنه كذبٌ خرج عن المشروعية. انتهى^(١).

ومنها: أن تكون عنايتهما بتحصيل العلم النَّافع في الآخرة، المرغَّب في الطَّاعة، مُتَجَنِّبِينَ العلومَ التي يَقِلُّ نفعُها، وَيَكْثُرُ فيها الجِدال، والقيل والقال، رَوَى أَنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: علِّمْنِي من غرائب العلم^(٢)، فقال له رسول الله ﷺ: ما صَنَعْتَ في رأسِ العلم؟ قال: وما رأس العلم؟ قال: هَلْ عَرَفْتَ الرَّبَّ؟ قال: نعم، قال: وَمَا صَنَعْتَ مِنْ حَقِّهِ؟ قال: ما شاء الله، قال: هَلْ عَرَفْتَ الْمَوْتَ؟ قال: نعم، قال: وَمَا أَعَدَدْتَ لَهُ؟ قال: ما شاء الله، قال: اذْهَبْ فَأَحْكِمْ ثُمَّ تَعَالِ نَعْلِمَكَ من غرائب العلم^(٣)، وينبغي أن يكون التَّعليمُ من جنس ما رَوَى عن حاتم الأصم^(٤) تلميذِ شقيق البلخي^(٥) أَنَّ شقيقاً قال له: منذُ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذُ ثلاثة وثلاثين سنةً، فقال: ما تعلَّمتَ مني في هذه المدة؟ قال: ثمان مسائل فقال شقيق: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

(١) لم نجده في كتاب: «الموضوعات» لابن الجوزي، ولا في كتابه: «العلل المتناهية» ولعله في أحد كتبه الأخرى، وانظر حول هذا الحديث الموضوعات ٢٤٥/١ وتذكرة الموضوعات ٧٩، وكشف الخفاء ١٠٦/٢.

(٢) مسند الربيع بن حبيب البصري ص ٣١١.

(٣) مسند الربيع بن حبيب البصري ص ٣١١.

(٤) هو أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان، المعروف بالأصم: راهد، اشتهر بالورع والتشف، له كلام مدون في الزهد والحكم، من أهل بلخ، رار بغداد، واجتمع بأحمد بن حنبل، وشهد بعض معارك الفتوح، كان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة، مات بواسجرد سنة ٢٣٧هـ، تاريخ بغداد ١٥٢/٢، والأعلام ١٥٢/٢.

(٥) هو أبو علي، شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي: راهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان، وكان من كبار المجاهدين، استشهد في غزوة كولان (بما وراء النهر) سنة ١٩٤هـ، حلية الأولياء ٦٢/٨، والنجوم الزاهرة ٢١/٢ و ١٤٦.

رَاجِعُونَ ذَهَبَ عُمْرِي مَعَكَ وَلَمْ تَتَعَلَّمْ إِلَّا ثَمَانِ مَسَائِلَ! فَقَالَ: يَا أَسْتَاذَ لِمَ أَتَعَلَّمُ غَيْرَهَا، وَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكْذِبَ، فَقَالَ: هَاتِ هَذِهِ الثَّمَانِ مَسَائِلَ حَتَّى أَسْمَعَهَا، فَذَكَرَهَا، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ^(١) وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ، الْأُولَى عَلَى مَحَبَّةِ الْحَسَنَاتِ، وَالثَّانِيَةِ عَلَى مُدَافَعَةِ هَوَى النَّفْسِ، وَالثَّلَاثَةَ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَالرَّابِعَةَ عَلَى النِّسْبَةِ لِلتَّقْوَى، وَالْخَامِسَةَ عَلَى تَرْكِ الْحَسَدِ، وَالسَّادِسَةَ عَلَى مُصَادَقَةِ الْخَلْقِ وَعَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ، وَالسَّابِعَةَ عَلَى مُلَازِمَةِ الطَّاعَةِ وَتَرْكِ الذُّلِّ لِلْخَلْقِ بِسَبَبِ الْمَعِيشَةِ، وَتَرْكِ الْحَرَامِ، وَالثَّامِنَةَ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَقَالَ شَفِيقٌ بَعْدَ مَا قَرَأَ حَاتِمَ الثَّمَانِ مَسَائِلَ: يَا حَاتِمَ وَفَّقَكَ اللَّهُ، إِنِّي نَظَرْتُ فِي عِلْمِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفَرْقَانِ فَرَأَيْتُهُ يَدُورُ عَلَى هَذِهِ الثَّمَانِ مَسَائِلَ، اللَّهُمَّ تَوْفِيقًا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَاجْتِنَابًا لِلطَّالِحِ.

ومنها: أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُ بِعِلْمِ الْبَاطِنِ، وَمُرَاقَبَةِ الْقَلْبِ وَمَعْرِفَةِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ وَتَرْكِهِ، وَصَدَقَ الرَّجَاءُ فِي انْكِشَافِ ذَلِكَ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ، فَإِنَّ الْمَجَاهِدَةَ تَفْضِي إِلَى الْمَشَاهِدَةِ فِي دَقَائِقِ عُلُومِ الْقَلْبِ، وَتَنْفَجِرُ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْحِكْمِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْعَدِّ وَالْحَدِّ مِنْ طَرِيقِ مِفْتَاحِ الْإِلَهَامِ، وَمَنْعِ الْكُشْفِ لَا بِالْكِتَابِ الْمَدُونَةِ، فَكَمْ مِنْ مُتَعَلِّمٍ طَالَ تَعَلُّمُهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَجَاوِزَةِ مَسْمُوعِهِ بِكَلِمَةٍ، وَكَمْ مِنْ مُقْتَصِرٍ عَلَى الْمَهْمِ فِي التَّعَلُّمِ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ لَطَائِفِ الْحِكْمِ مَا تَحَارَ فِيهِ عَقُولُ ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٢)، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ^(٣) السَّالِفَةِ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَقُولُوا: الْعِلْمُ فِي السَّمَاءِ مِنْ يَنْزِلُ بِهِ، وَلَا فِي الْأَرْضِ مَنْ يَصْعَدُ بِهِ، وَلَا مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ مَنْ يَأْتِي بِهِ، الْعِلْمُ مُحْصُورٌ فِي قُلُوبِكُمْ، فَتَأْدَّبُوا بَيْنَ يَدَيِ تَأْدِبِ الرُّوحَانِيِّينَ وَتَخَلَّقُوا إِلَى تَخْلُقِ الصَّدِيقِينَ أَظْهَرَ الْعِلْمَ مِنْ قُلُوبِكُمْ حَتَّى يُعْطِيَكُمْ وَيُغْمِرَكُمْ.

(١) انظر هذه القصة في حلية الأولياء ٨٢/٨ - ٨٣.

(٢) انظر كشف الخفاء ٣٤٧/٢، وتفسير ابن كثير ٢٩/٤ وفيض القدير ٣٨٨/٤.

(٣) فيض الله ٣٣٨/٤.

ومنها: أن يبحث عما يُفسدُ الأعمال، ويشوش القلب، ويهيج الوسواس، ويثير الشرَّ، فإنَّ أصلَ الدينِ التَّوَقُّي من الشرِّ، ولذلك قيل: اعرف الشرَّ لا للشرِّ، لكن لتوقيه، ومَن لا يعرف الشرَّ من الناس يقع فيه^(١)، ورقيل لحذيفة رضي الله عنه: نراك تتكلم بكلام لا يُسمع من غيرك من الصحابة! فمن أين أخذته؟ قال: خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان النَّاسُ يسألونه عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافةً أن أقع فيه، وعلمتُ أن الخيرَ لا يسبقُنِي، وقال مرةً، فعملتُ أن من لا يعرف الشرَّ، لا يعرف الخيرَ، فكان عمرُ وعثمانُ وأكابرُ الصحابة يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، وكان يُسألُ عن المنافقين فيخبرُ بأعداد مَنْ بقى، ولا يُخبرُ بأسمائهم، وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم بها شيئاً من النفاق، فبرأه من ذلك، وكان - أعني عمر رضي الله عنه - إذا دُعِيَ إلى جنازةٍ نظَرَ، فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلاَّ تَرَكَ، وكان حذيفة رضي الله عنه يسمَّى صاحبَ السرِّ، بالسَّيْنِ المهملة^(٢).

ومنها: وهو من أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم وعدم الملالة، أكلُ القدرِ اليسير من الحلال الذي لا شُبْهة فيه، قال الشافعي رضي الله عنه: ما شُبعتُ منذُ ست عشرة^(٣) سنةً، وسببُ ذلك أن كثرةَ الأكل جالبةٌ لكثرة الشرب، وهي جالبةٌ للنوم والبلادة، وفُتُورِ الحواسِّ والكسل، هذا مع ما فيه من الكراهة الشرعية، والتعرض لخطر الأسقام البدنية كما قيل (من الوافر):

(١) - أبجد العلوم ١/١٤٣

(٢) البخاري ٣/١٣١ و ٦/٢٥٩٥، ومسلم ٣/١٤٧٥، وانظر الاستيعاب ١/٣٢٤، وأسد الغابة ١/٣٩٠، والمستدرک ١/١٩٧، و ٢٠٩، و ٤/٤٧٢ و ٤٧٨ و ٤٧٩، والسنن الكبرى ٨/١٥٦، والسير ٢/٣٦١، والإصابة ترجمة رقم ١٦٥٢ (٢/٣٩).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧٤، والمحلية ٩/١٢٧، وجامع العلوم والحكم ١/٤٢٨، وتهذيب الأسماء ١/٧٥.

عدوك من صديقك مستفاد

فلا تستكثرن من الصحاب^(١)

فإن الداء أول ما تراه

يكون من الطعام أو الشراب

وقد جمع بعض الحكماء فى كثرة الأكل خمسين آفة، ونظمها مولانا

وسيدنا وشيخنا شيخ الإسلام والد المصنف^(٢) رحمه الله وأبقى خلقه فقال: (من

البسيط)

فى كثرة الأكل يا ذا العقل والنظر

خمسون آفة كن منها على حذر

توليد سقم وثقل ثم طول كرى

ووصمة النفس مع غم ومع بطر

وقسوة وعمى قلب تؤثره

وهزل روح ونقص الخوف والحذر

وقلة العقل مع جهل مكثره

وقلة الشكر والإخلاص والخفر

وشهوة تنمو مع ترك الحياء كذا

نسيان علم وذكر الموت فى العمر

وحب دنيا وشح والبقاء كذا

حب الشياطين فقد الصبر مع ضجر

(١) البيتان لابن الرومى كما فى المثل السائر ٣١٥/١، وجمهرة الأمثال ٤٦٥/١.

(٢) هو أبو الفضل، محمد بن محمد بن أحمد العامرى، رضى الدين الغزى: باحث، من علماء الشافعية، أصله من غزوة، ومولده ووفاته بدمشق ٩٣٥هـ، الكواكب السائرة ٣/٢، والأعلام

وذمَّ حكمةٍ أيضًا والعداوة مع
 تهيج عادة أشواق مع الأشر
 وبغض مولاه مع هدم العبادة مع
 فقد البهاء وحرَّج الدين بالغير
 والضحك أيضًا وإذهاب الحلاوة من
 قلب وإبدال صفو منه بالكدر
 وترك ذكرٍ وإذهاب اليقين كذا
 ترك افتقار وآداب لمعتبر
 وترك الأعمال والإكثار من حسد
 والبعد من جنة والقرب من سقر
 ثم التغفل ينمو والفضول كذا
 وللشياطين تسليح على البشر
 كذاك تفريقُ صحبٍ وارتكابُ معا
 صي الله جلّ وهذا غاية الخطر
 وفي رسائل إخوان الصفاء لها
 شرحٌ بهذا الحصر وافٍ غير مختصر
 وهاك في هذه الأبيات جُمْلَتُها
 تلخّصت فأتت في النظم كالدرر
 ولبعضهم في بعض فوائد الجوع (من الكامل):
 في الجوع عشرُ فوائدٍ عن حصرها
 عَجَزَ البيانُ وباءَ بالتقصير
 من بعضها كسرُ الهوى وبكسره
 فوز الفتي بعوارف التحبيب

وصفا القلوب وحفظها في سَيْرها
 من علة التكدير والتأثير
 وإدامة السَّهر الذي هو مقصد
 في شَرع أهل الجَدِّ والتشميمير
 وسلامة الجسد الذي هو مركب
 للقصد من عللٍ ومن تغيير
 وهو المذكرُ بالفقير وحاله
 ولرُبَّ خير جاء في التذكير
 وبه على الإِشار تحصيل مُكنة
 تبدو لطائفها لكل بصير
 وعلى العبادة أي عون للفتى
 في ضمنه بل أيما تيسير
 وبه انحسام مواد كل ضرورة
 يأتي من الشيطان للتغريب
 والمَرء ذو مؤن وفي تقيله
 طرح لما يدعو إلى التكثير
 فأجع فؤادك للوقفا متعرضا
 واسلك سبيل مُحققٍ وخبير
 واعلم بأنَّ الجوعَ في شرع الولا
 مفتاحُ بابِ الفتح عن تحرير
 والأولى أن يكون ما يأخذه من الطَّعام والشراب ما ورد: بحسب ابن آدم

ال فقرَ والنسيان^(١) جمع فيه فأوعى، وقد اختصره المرحومُ شيخنا الرضى والد المصنف شيخ الإسلام فى أرجوزة سماها (نظم القلائد^(٢)).

ومنها: أن يقللَ نومه ما لم^(٣) يلحقه ضرر فى بدنه وذهنه، ولا يزيد فى نومه فى اليوم واللييلة على ثمان ساعات، وهو ثلثُ الزَّمان، فإن احتمل حاله أقلَّ منها فعَلَّ، ولا بأس أن يُريحَ نفسه وقلبه وذهنه وبصره إذا كلَّ باستراحة وتنزه وتفرج فى المستزهرات بحيث يعود إلى حاله، ولا يُضيع عليه زمانه، ولا بأس بمعاونة المشى، ورياضة البدن^(٤) به، فقد قيل: إنه ينعش الحرارة، ويُذيبُ فضول الأخلاط، وينشط البدن، ولا بأس بالوطء الحلال إذا احتاج إليه، فقد قال الأطباء: إنه يُخففُ الفضول، وينشط ويصفى الذهن إذا كان عند الحاجة إليه باعتدال، ويحذر كثرتَه كلَّ الحذر، فإنه يُضعفُ السمع والبصر والعصب والحرارة والهضم، ويحدثُ غيرَ ذلك من الأمراض المُردية، وهو كما قيل: ماءُ الحياة يصبُّ فى الأرحام^(٥).

ومنها: أدعية وفوائد وردت يُستعان بها على حفظ القرآن والعلم، فينبغى مراعاتها، وإن كان غالبها ضعيفاً^(٦) عن ابن عباس مرفوعاً^(٧): من سرّه أن يودعه

(١) قال حاجى خليفة فى كشف الظنون ١٣٥٤/٢: (مختصر أوله: الحمد لله الذى علمنا ما لم نكن نعلم...).

(٢) فى كشف الظنون ١٣٥٤/٢ (نظمه الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الغزى فى بحر الرجز أوله: الحمد لله الذى علمنا... إلخ).

وذكر أنه جمعها منتظماً.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٧ - ٧٨.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٠.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص ٨١.

(٦) انظر تذكرة الموضوعات ٥٦ - ٥٧، وكثرة العمال ٥٨/٢ - ٦١.

(٧) الحديث المرفوع هو ما أُضيف إلى النبى ﷺ خاصة من قول أو فعل أو تقرير سواء أكان متصلاً أم منقطعاً، وقال الخطيب: (هو ما أخبر به الصحابى خاصة من قول النبى ﷺ، أو فعله). الباعث الحديث ٢٤، والمنهل الروى ٤٠.

الله عز وجل القرآن وحفظ أصناف العلوم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف،
أو في صحيفة قوارير بعسل وزعفران وماء مطر، ويشربه على الريق، وليصمه
ثلاثة أيام، وليكن إفطاره عليه، ويدعو به في أدبار الصلوات المكتوبة. اللهم
إني أسألك بأنك مسئول لم يسأل مثلك، أسألك بحق محمد ﷺ رسولك
ونبيك، وإبراهيم خليلك وصفيك، وموسى كلمك ونجيك، وعيسى كلمتك
ورؤحك، وأسألك بصحف إبراهيم وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل
عيسى، وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين، وأسألك بكل وحي أوحيت،
وبكل حق قضيت، وبكل سائل أعطيت، وأسألك بأسمائك التي دعا بها أنبياءك
فاستجبت لهم، وأسألك باسمك المخزون المطهر، الطاهر المبارك المقدس،
الحى القيوم ذى الجلال والإكرام، وأسألك بأسمائك: الواحد الأحد الصمد
الفرد الوتر، الذى ملأ الأركان كلها، وأسألك باسمك الذى وضعته على
السموات فقامت وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرضين فاستوت،
وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست، وأسألك باسمك الذى
وضعته على النهار فاستنار، وأسألك باسمك الذى تحيى به العظام وهى رميم،
وأسألك بكتابك المنزل بالحق، ونورك التام: أن ترزقنى حفظ القرآن، وحفظ
أصناف العلوم، وتبئها فى قلبى وأن تستعمل بها بدنى فى ليلى ونهارى أبداً ما
أبقيتنى يا أرحم الراحمين^(١)، ورؤى عن بكر بن خنيس^(٢) قال: من أحب أن
يقرأ القرآن، ولا ينسى منه شيئاً بإذن الله عز وجل فليقل: اللهم افتح علينا

(١) انظر هذا القول بتمامه فى تذكرة الموضوعات ص ٥٧، وهو عن ابن مسعود.

(٢) هو بكر بن خنيس الكوفى العابد، نزيل بغداد: محدث كان يروى كل منكر، وكان رجلاً صالحاً
غزاه، وليس بقوى فى الحديث، قيل: كان يوصف بالعبادة والزهد، ويحدث بأحاديث مناكير عن
قوم لا بأس بهم، وحديثه فى جملة حديث الضعفاء، وليس ممن يحتج بحديثه، توفى نحو سنة
١٧٠هـ. تاريخ بغداد ٨٨/٧، وتهذيب الكمال ٢٠٨/٤.

رحمتك، وانشر علينا رحمتك، وعن سُنَيْد^(١) قال: مَنْ أَحَبَّ أَنْ لَا يَنْسِيَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢) وقال بعض الصالحين: إِذَا قَرَأْتَ شَيْئًا ثُمَّ قَمْتَ عَنْهُ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ مَا قَرَأْتُهُ فَارْزُدْهُ عَلَيَّ وَقْتَ حَاجَتِي إِلَيْهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ^(٢).

وغسل الرأس يزيد في الحفظ، وتركه ينقص من الحفظ، ومن أراد أن يحفظ العلم فعليه بخمس خصال: صلاة الليل ولو ركعتين، والدوام على الوضوء، والتقوى في السر والعلانية، وأن ينوى بأكله القوة على الطاعة، والسواك في كل صلاة وعند تغير الفم، ومن كتب آية الكرسي في كفه اليسرى بيده اليمنى سبع مرات بزعفران في كل مرة يلحسها بلسانه لم ينس شيئاً أبداً، ومن قال أربعين مرة مساءً: اللهم اجعل نفسي نفساً طيبة طائعة حافظة تؤمن ببلقائك وتقتنع بعطائك، وترضى بقضائك لم ينس شيئاً أبداً، ومن قال عند رفع ما يقرأه سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبداً الأبدین، ودهر الداهرين، فإنه لا ينسى منه شيئاً أبداً، ومما يفيد للحفظ قولك عقب كل صلاة: آمَنْتُ بِاللَّهِ الواحد الأحد، الحق المبين لا شريك له وكفرت بما سواه. انتهى.

(١) هو: أبو علي المحتسب، سُنَيْد، واسمه: الحسين بن داود المصيصي: الإمام الحافظ، محدث الثغر، صاحب التفسير الكبير، قال ابن ناصر الدين: «أحد أوعية العلم والأثر، تكلم فيه أحمد وغيره، ووثقه ابن حبان والخطيب البغدادي». توفي في سنة ٢٢٦هـ. السير ١٠ / ٦٢٧، وتهذيب التهذيب ٤ / ٢٤٤، وطبقات الحفاظ ٢٢٤.

(٢) وتقدم إذا قرأ كل يوم سبعاً من القرآن لم ينسه أبداً، وذكر ابن الحاج في مدخله: أن من قرأ ما يحفظه في صلاته لم ينسه أبداً.

القسم الثاني

آدابهما في درسهما واشتغالهما^(١)

فمنها: أن لا يزال كلُّ منهما مُجْتَهِداً في الاشتغال قراءةً ومطالعةً وتعليقاً ومباحثةً ومذاكرةً وفكراً وحفظاً وإقراءً وتصنيفاً إن تأهل لهما، ووظائف الأوراد في كل الأحوال.

ومنها: أن لا يخلَّ بوظيفته من حضور درسٍ ومذاكرةٍ وقراءةٍ ونحوها ولو لعروض مرضٍ خفيفٍ، أو ألمٍ لطيفٍ، وليستشفٍ بالعلم وليشتغل بقدر الإمكان كما قيل (من البسيط):

إِذَا مَرَضْنَا تُدَاوِينَا بِذِكْرِكُمْ

وَنَتَرَكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَتَكَسَّرُ^(٢)

هذا والحكاياتُ عن السَّلفِ في ارتكابهم الأهوالَ في طَلَبِ العلم مشهورةٌ، مُدَوَّنةٌ في كُتُبِ التَّوَارِيخِ والسِّيَرِ ومَسْطُورة^(٣).

حكى الإمامُ عبدُ الحميدِ بنُ عيسى الخُسْروشاہی^(٤) تلميذُ الإمامِ فخرِ الدِّينِ

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٦ - ٢٧

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٧.

(٣) انظر فتح الباری ١/١٥٩، والبدایة والنهاية ٩/١٠٠، وتذكرة الحفاظ ١/١٠٨، والمنهج الأحمد ١/٨١، وفيات الأعيان ٢/٢٣٣، وانظر أيضاً تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٧ و ٧٨٩ و ٩٧٣، ٣/١٠٣٢.

(٤) هو أبو محمد، عبد الحميد بن عيسى بن عمّويه بن يونس، شمس الدين، الخُسْروشاہی: من علماء الكلام، نسبته إلى خسروشاہ (من قرى تبريز) ومولده فيها، تقدّم في علم الأصول والعقليات والفقه، وأقام في دمشق والكرک، وتوفي في دمشق سنة ٦٥٢هـ النجوم الزاهرة ٧/٣٢، وشذرات الذهب.

الرازي^(١) عن جلاله الإمام واجتهاد طلبته^(٢): أنه صحبَ طلبة الإمام في ثلج أبيض، ونوءٍ باتَ يَاسَمِينُهُ عَلَى الْأَرْضِ يُنْفَضُ، والثلجُ قد أَبْطَلَ كُلَّ حَرَكَةٍ. وكيف لا وهو بلا شك كافور، والسحاب عمّ عطاؤها في البلد، فساوى بين مستفل الأرض وشرفات السور، وهمتهم مع ذلك لم تُخَمَدُ نيرانها، ولم تَفْتَرُ عن سماع كلام الإمام آذانها، وإن عامت الأرض لكثرة الماء، وعمت الجدران سحاب السماء، وأبت همتهم: أن تُبْطِلَ فوائده الإمام، ولو بطلت منهم الحواس الخمس، ونفوسهم أن تغيبَ عن كلماته وإن غابت تحت الغمام عين الشمس، ووضعوا على رؤوسهم كساءً يمنع وصول المطر، وفتحوا المحصول^(٣) وشرعَ واحدٌ يقرأ ثم واحدٌ، والإمام لا يُدْنِي رأسه من الكوة إلا لمن يرتضيه، فمنهم من يجيبه، ومنهم من يقرأ إلى آخر درسه والإمام لا يلتفت إليه، ولا ينظر فيه، تمريناً منه رحمه الله لهم على الآداب، وتعريقاً لمقدار العلم، وإن اقتحم ذو العزيمة الأهوال وظن أن همته تعلو على السحاب ومنها: أن يجتهد أن لا يحضر مجلس الدرس إلا مُتَطَهِّراً من الحدث والخبث ومطيباً بدنه وثوبه، قاصداً بذلك تعظيم العلم، وتبجيل الشريعة، وإن كان في مسجد نوى في ابتداء جلوسه الاعتكاف.

ومنها: أن لا يسأل أحداً تعتياً وتعجزاً فإنه لا يستحق جواباً، وسيأتى النهى عن ذلك.

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر، أو حد رمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأرائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ، وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظاً بارعاً في اللغتين العربية والفارسية. وقد أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، الوافي ٢٤٨/٤، وطبقات الشافعية ١٦١/٨.

(٢) طبقات السبكي ١٦٢/٨.

ي كـ المحصول في علم الأصول، لفخر الدين الرازي. هو مطبوع.

ومنها: أن يتصورَ ويتأملَ ويَهْذَبَ ما يريدُ أن يوردهُ، أو يقرّره أو يسألَ عنه قبلَ إبرازه والستفوه به، ليأمنَ من صدورِ هفوةٍ، أو زلّةٍ، أو وهمٍ، أو انعكاسٍ فُهمٍ، لا سيما إن كان هناك مَنْ يخشى منه أن يصيرَ ذلكَ عليه وصمةً، ويجعله عندَ نظرائه ومَنْ يحسدهُ وسمةً، واللهُ هو الموفقُ، وهو اللَّطيفُ الخبيرُ.

ومنها: أن لا يستكفَ من التَّعلُّمِ والاستفادة^(١) ممن هو دونه في منصبٍ أو سنٍّ أو نسبٍ، أو شهرةٍ أو دينٍ، أو في علمٍ آخرٍ، بل يحرصُ على الفائدةِ ممَّن كانت عندهُ، فقد كان كثيرٌ من السَّلفِ يستفيدون من تلاميذهم ما ليس عندهم، قال الحميدى^(٢) وهو تلميذُ الشافعي: صحبتُ الشافعيَ من مكةَ إلى مصرَ فكنتُ أستفيدُ منه المسائلَ، وكان يستفيد مني الحديث^(٣) وقال أحمد بن حنبل: قال لنا الشافعي: أنتم أعلمُ بالحديث مني، فإذا صحَّ عندكم الحديثُ فقولوا لي حتى آخذ به^(٤)، وقد ثبتَ في الصحيحين^(٥) وغيرهما روايةُ جماعةٍ من الصحابة عن التابعين وروى جماعاتٌ من التابعين عن تابعٍ التابعين، وهذا عمرو بن شعيب^(٦) ليس تابعيًا، وقد روى عنه أكثرُ من سبعين من التابعين، وأبلغ من هذا ما ثبتَ في الصحيحين^(٧) من أن رسولَ الله ﷺ قرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ

(١) الجامع لأخلاق الراوى ٢١١/١ فما بعد، وتذكرة السامع ٢٨ - ٢٩.

(٢) هو أبو بكر، عبد الله بن الزبير الحميدى الأسدى: أحد الأئمة في الحديث، من أهل مكة، رحل منها مع الإمام الشافعي إلى مصر، ولزمه إلى أن مات، فعاد إلى مكة يفتى بها، وهو شيخ البخارى، ورئيس أصحاب ابن عيينة، توفي بمكة سنة ٢١٩هـ، السير ٦١٦/١٠، والنجوم الزاهرة ٢٣١/٢ وطبقات الحفاظ ٢٠٠.

(٣) تذكرة السامع ٢٩.

(٤) حلية الأولياء ١٠٦/٩، وتذكرة السامع ص ٢٩.

(٥) تدريب الراوى ٢/٢٤٥ و ٣٨٨ و ٣٨٦.

(٦) هو إبراهيم، عمرو بن شعيب بن محمد السهمى القرشى: من رجال الحديث، كان يسكن مكة، وتوفى بالطائف سنة ١١٨هـ، تهذيب التهذيب ٨/ ٤٨، والأعلام ٧٩/٥.

(٧) صحيح البخارى حديث ٤٦٧٦ و ٤٦٧٧ فى التفسير، ومسلم رقم ٧٩٩ فى صلاة المسافرين.

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البينة: ١) عَلَى أَبِي بِن كَعْب^(١) رضي الله عنه، وقال: أمرني الله أن أقرأ عليك^(٢)، هذا وقد استنبط العلماء من هذا الحديث فوائد^(٣):

الأولى: بيان التواضع من الفاضل بقراءته عَلَى المفضل، قال عليه السلام:
الكَاِمَةُ الحَكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا التَّقَطَّهْهَا، وَفِي رَوَاةٍ: فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا^(٤) وقال سعيد بن جبیر^(٥): لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ، فَإِذَا تَرَكَ التَّعَلَّمَ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ اسْتَعْنَى وَاكْتَفَى بِمَا عِنْدَهُ، فَهُوَ أَجْهَلُ مَا يَكُونُ، وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ [مِنَ الطَّوِيلِ]

وليس العمى طول السؤال وإنما

تمام العمى طول السكوت عَلَى الجهل^(٦)

الثانية: أن لَا يَسْتَحْيَ مِنَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ وَعَنْ مُجَاهِدٍ: لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ^(٧).

(١) هو أبو المنذر، أبي بِن كَعْب بن قيس التَّجَارِي الخَزْرَجِي: صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، مَطْلَعًا عَلَى الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ، وَلَمَّا أَسْلَمَ كَانَ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ، وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَ يَفْتَى عَلَى عَهْدِهِ، وَأَمَرَهُ عِشْمَانُ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، فَاشْتَرَكَ فِي جَمْعِهِ، مَاتَ بِالْمَدِينَةِ ٢١هـ، الْإِسَابَةُ ٢٦/١، وَغَايَةُ النِّهَايَةِ ٣١/١.

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ رَقْمَ ٤٦٧٦ فِي التَّفْسِيرِ، وَمُسْلِمٌ ٧٩٩/١، وَالْمُسْتَدْرَكُ ٢/٢٤٤، وَالتِّرْمِذِيُّ ٥/٦٦٥ وَ ٧١١، وَالسَّنَنِ الْكُبْرَى ٢٨/٥.

(٣) فَتْحُ الْبَارِي ٨/٧٢٥، وَشَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ ٨٥/٦ وَ ١٦/٢٠.

(٤) التِّرْمِذِيُّ ٥/٥١، وَابْنُ مَاجَهَ ٢/١٣٩٥، وَمُسْنَدُ الشَّهَابِ ١/١١٨، وَتَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ٢٩، وَشَرْحُ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ ١/٣٠٧.

(٥) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرِ الْأَسَدِيِّ، بِالْوَلَاءِ، الْكُوفِيُّ: تَابِعِيٌّ، كَانَ أَعْلَمُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ حَبَشِيٌّ الْأَصْلُ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ، وَخَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ، وَكَانَ مَعَهُ سَعِيدٌ، إِلَى أَنْ قَتَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ، فَلْذَهَبَ سَعِيدٌ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ، وَقَتْلَهُ الْحِجَاجُ بِوَأَسَطِ سَنَةِ ٩٥هـ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: قَتَلَ الْحِجَاجُ سَعِيدًا وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى عِلْمِهِ.

وفيات الأعيان ٢/٣٧١، والسير ٤/٣٢٢ وانظر قوله في تذكرة السامع والمتكلم ٢٨.

(٦) جامع بيان العلم ١/٣٨٠، وفيه: قال أبو عمر: كان الأصمعي ينشد: شفاء العمى... وتذكرة السامع ٢٨. ومحاضرات الأدباء ١/٤٩.

(٧) ذكره البخاري تعليقاً - كتاب العلم - باب الحياء في العلم، قال: وقال مجاهد: لا يتعلم =

الثالثة: الانقياد إلى الحق بالرجوع عند الهفوة، فالرجوع إلى الحق خير من التماذى فى الباطل.

الرابعة: ترك المراء والجدال، وجعل الأخبار الواردة فى ذلك نصب عينيه، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ، لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَتَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ»^(٢)، والأخبار فى ذلك كثيرة والله أعلم.

= العلم... وهو عند أبى نعيم موصولاً ٢٨٧/٣، والدارمى فى سننه ١١٢/١، وانظر أيضاً فتح البارى ٢٢٩/١، وجامع بيان العلم ٥٣٥/١ - ٥٣٦.

(١) ريبض المدينة: ما حولها من العمارة.

(٢) صحيح ابن حبان ٤٧٩/١٠، والمستدرک على الصحيحين ٦٩/٢ و ٨١، وفتح البارى ١٣/١٨١، وفيض القدير ٥/٥، وموارد الظمان ٣٨٢/١، وأبو داود رقم ٤٨٠٠ فى الأدب، وجامع الأصول ٧٣٤/١١، والمعجم الأوسط ٢٦٩/١ و ٦٨/٥ و ٢٨٥، ومجموعة رسائل فى الحديث ١/٤٥، والترغيب والترهيب ٧٨/١ و ١٨٤/٢ و ٢٧٣/٣ وهو حديث حسن، رواه أبو داود فى سننه وانظر سلسلة الضعيفة ١٣٥، والصحيحة ٢٧٣، وصحيح الجامع الصغير ٣٠٦/١.

النوع الثانى

آداب يختص بها المعلم، وقد يشاركه فى بعضها المتعلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا﴾ (البقرة: ١٥٩) وفى الصحيح: ليلغ الشاهد الغائب^(١)، ويتعين على طالب العلم أن لا ينتصب للتدريس حتى تكمل أهليته، واعلم أن آدابه تنقسم إلى ثلاثة أقسام: آدابه فى نفسه، وآدابه مع طلبته، وآدابه فى درسه.

القسم الأول

آدابه فى نفسه^(٢)، وتقدم منها جملة فى الآداب المشتركة.

ونذكر هنا ما يختص بها غالباً

فمنها: أنه يتعين على طالب العلم أن لا ينتصب للتدريس حتى تكمل أهليته ويشهد له به صلحاء مشايخه، وفى الخبر الصحيح^(٣): المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور، وقال الشبلى: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه^(٤)، وعن أبى حنيفة: من طلب الرئاسة فى غير حينه لم يزل فى^(٥) ذل ما بقى.

(١) حديث صحيح، رواه البخارى ١٧٤١، ومسلم ١٦٧٨، والنسائى فى الكبرى، وأحمد ٤٩/٥، وانظر تحفة الأشراف ٥٠/٩، دلائل النبوة للبيهقى ٥٣٩/١، وجامع بيار العلم ١٨٢/ - ١٨٤.

(٢) انظر هذا الباب فى تذكرة السامع والمتكلم ٤٤ - ٤٥.

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد فى المسند، من أسماء بنت أبى بكر، ورواه مسلم عن عائشة (مختصر مسلم ١٣٨٧) وانظر أيضاً: صحيح الجامع الصغير ٦٦٧٥.

(٤) تذكرة السامع ٤٥، وشعب الإيمان ٣٠٤/٦، وفيض القدير ١٥٥/١ و ٢٦٠/٦.

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٣٢١/١.

ولبعضهم^(١): (من الطويل):

تصدّر للتدريس كلّ مُهوّس

جهول تسمى بالفقيه المدرّس^(٢)

فحقّ لأهل العلم أن يتمثلوا

ببيت قديم شاع في كلّ مجلس

لقد هزّلت حتى بدا من هزالها

كلّاهها وحتى استامها كلّ مفلس

ومنها: أن لا يطلب على تعليمه أجرًا، ولا يقصد به جزاء ولا شكورًا، قال

تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الأنعام: ٩٠).

ومنها: أن لا يذلّ العلم، ولا يذهب به إلى مكان ينسب إلى من يتعلّمه منه

وإن كان المتعلّم كبير القدر، بل يصون العلم عن ذلك كما صانه السلف

وأخبارهم في هذا كثيرة مشهورة مع الخلفاء وغيرهم، قال الزهري^(٣): هوان

العلم أن يحمله العالم إلى بيت المتعلّم^(٤)، فإن دعت ضرورة، وحسنت فيه نية

صالحة فلا بأس، وعليه يُحمل ما جاء عن بعض السلف من ذلك، وقد أجاد

القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني^(٥) في معنى ذلك (من الطويل):

(١) الآيات لعلّ بن أحمد بن عليّ بن سلك أبو الحسن المؤدّب المعروف القالي، انظرها في المنتظم

١٠/١٦، والبداية والنهاية ٧٠/١٢، والكامل لابن الأثير ٣٣٥/٨، والامتنع بأخبار دول

المغرب الأقصى ١١٠/١ وانظر تذكرة السامع ٤٦.

(٢) انظر الآيات في مراجع الحاشية السابقة.

(٣) أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، القرشي: أول من دوّن الحديث، وأحد

أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي، من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها، مات بشعب آخر حد

الحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤هـ، وفيات الأعيان ١٧٧/٤، والسير ٣٢٦/٥.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٥٨٢/١، وتذكرة السامع ١٦.

(٥) هو أبو الحسن، عليّ بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني: قاضي، من العلماء بالأدب، كثر

الرحلات، له شعر جيد، وكان خطّه يشبه بخطّ ابن مقلة، ولد بجرجان وولى قضاءها، ثم قضاء

الريّ، فقضاء القضاة، وتوفى بنيسابور سنة ٣٩٢هـ وفيات الأعيان ٢٧٨/٣، والسير.

يقولون لى فيك انقباضٌ وإنما
 رأوا رجلاً عن موقف الذلِّ أحجماً^(١)
 أرى الناس من دانا هم هان عندهم
 ومن أكرمه عزّة النفس أكرما
 وما كلّ برقيّ لاح لى يستفزّنى
 ولا كلّ من لاقيت أرضاه مُنعماً
 وإنى إذا ما فاتنى الأمرُ لم أبتْ
 أقلبُ كفى إثره مُتندماً
 ولم أقضِ حقّ العلم إن كان كلاماً
 بدا طمعٌ صيرته لى سلماً
 إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
 ولكن نفس الحرّ تحتلُّ الظما
 ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتي
 لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
 أشقى به غرساً وأجنيه ذلّة
 إذن فاتباعُ الجهل قد كان أحزماً
 ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
 ولو عظموه فى النفوس لعظما
 ولكن أهانوه فهان ودنسوا
 محيَّاهُ بالأطماع حتى تجهّما

(١) شرح المفضنون به على غير أهله ص ٧ - ١٥، وهى قصيدة من عيون الشعر العربى، يتيمه الدهر
 ٣/٤ - ٢٦، والجامع لأخلاق الراوى ١/٥٨٥، وطبقات السبكى ٣/٤٦٠ - ٤٦١، وأدب الدنيا
 والدين ٩٢.

ومنها: وقد مرّ معناه أن يكون عاملاً بعلمه سير مناقض فعله قوله ولذلك قيل
(من الكامل):

لا تندّ عن خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم^(١)

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٤).

قال عليّ رضي الله عنه: قصم ظهري عالمٌ مهتكٌ، وجاهلٌ متنسكٌ، فالجاهل يغشّ
الناسَ بتنسكه، والعالم ينقرهم بتهتكه، ولبعضهم في معنى ذلك (من الكامل):

فسادٌ كبيرٌ عالمٌ مهتك

وأكبر منه جاهلٌ متنسك^(٢)

هما فتنةٌ للعالمين عظيمة

لمن بهما في دينه يتمسك

ومنها: أن يستحضر في ذهنه كون التعليم أكدّ العبادات ليكون ذلك حاثاً له
على النية الصالحة، والنفع العام للطلبة، ولا ينبغي أن يمتنع من تعليم أحدٍ
لكونه غير صحيح النية^(٣)، فالامتناع من تعليمهم يؤدّي إلى تفويت كثير من
العلم مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحهما إذا أنس بالعلم، وقد قالوا: طلبنا
العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاّ الله^(٤)، معناه: كانت عاقبته أن صار لله.

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو في ديوانه ص ١٦٥.

(٢) تعليم المتعلم للزرنوجي ص ٣٦، وهو بلا نسبة.

(٣) تذكرة السامع ٤٧.

(٤) تذكرة السامع ٤٧.

القسم الثاني

آداب المعلم مع طلبته^(١)

فمن ذلك إذا لمح في المتعلم خيراً، وأنس فيه رُشدًا، ينبغى له أن يؤدِّبه على التدريج بالآداب السنية، والشيم المرضية، والدقائق الخفية، ويعوّده الصيانة في جميع أموره: الكامنة والجلية، فيحرّضه بالأقوال والأفعال على الإخلاص والصدق وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، وأن يداوم على ذلك حتى الممات، ويعرفه أن بذلك تنفتح عليه أبواب المعارف، وتنجر من قلبه ينابيع الحكمة واللطائف، ويوفق للإصابة في قوله وفعله.

ومن ذلك أن يرغب في العلم^(٢)، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء، وأنهم ورثة الأنبياء، وأنهم على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، ونحو ذلك مما ورد في فضل^(٣) العلم والعلماء من الآيات والأخبار، والآثار والأشعار، ويرغبه مع ذلك بتدريج على ما يعين على تحصيله من الاختصار على الميسور، وقدر الكفاية من الدنيا، والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعلق بها، وتفريق الهم بسببها.

ومن ذلك أن يحب له ما يحب لنفسه^(٤)، ويكره له ما يكره لنفسه من الشر، ففي الصحيحين: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٥)

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم، وهو الفصل الثالث فيه، وعنوانه فيه: «في أدب العالم مع طلبته مطلقاً في حلقته».

(٢) تذكرة السامع ٤٨.

(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٦٣، ٩٩، ١٣٣، ١٤٩. (٤) تذكرة السامع ٤٩.

(٥) حديث صحيح رواه البخاري ١/١٤ حديث رقم ١٣، ومسلم ١/٦٧ و ٦٨، وابن حبان ١/٤٧٠ - ٤٧١، والترمذي ٤/٦٦٧، و ٥/٨٠، والنسائي ٨/١٢٥ و ١١٥، ونحفة الاحوزي ٦/٦٢ و ٧/١٨٤ و ٨/٦، وفتح الباري ١/١٣٨ و ٢٨٣، وشعب الإيمان ٣/٢٦١، وفيض القدير ١/١٧٦، ٢/٣٦٢، ٣/٢١٧ و ٣٩١ و ٤/٢٦.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أكرم الناس على جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إلى، لو استطعت أن لا يقع الذباب عليه لفعلت^(١) ويعتنى بمصالحه^(٢) كاعتناؤه بمصالح نفسه وولده، ويجعله كولده في الشفقة عليه، والاهتمام بمصالحه. وربما^(٣) وقع منه نقص وسوء أدب في بعض الأحيان، فيبسط له عذره بحسب الإمكان، وينبهه على ما صدر منه بنصح وتلطّف، لا بتعنيف وتعسف، قاصداً بذلك حسن تربيته، وتحسين خلقه، وإصلاح طويته.

ومن ذلك أن يزجره^(٤) عن سوء الأخلاق، وارتكاب المحرمات، والمكروهات أو ما يؤدّي إلى فساد حال، أو ترك اشتغال، أو إساءة أدب، أو عشرة من لا يليق، ونحو ذلك بطريق التعريض والتلويح، لا بطريق التصريح، وبطريق الرّحمة لا بطريق التوبيخ والنقمة، فإن التصريح يرفع حجاب الهيبة، ويورث الجراحة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴿البقرة: ٣٥، ٣٦﴾ وفي سورة طه ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ (طه: ١٢١) وقد ورد: لو منع الناس عن فت البعر لفتوه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء^(٥) ول بعضهم (من الكامل):

النفس تهوى من يجور ويعتدى

والنفس مائلة إلى الممنوع

(١) تذكرة السامع ٤٩، وبعده: «وفي رواية: إن الذباب ليقع عليه فيؤذي»، وانظر شعب الإيمان ٨٦/٧.

(٢) تذكرة السامع ٤٩، وأبجد العلوم ٢٤٩/١ وكشف الظنون ٥٠/١.

(٣) تذكرة السامع ٤٩ - ٥٠، وكتاب الام ٨٤/٦.

(٤) إحياء علوم الدين ٨٤/١، وتذكرة السامع ٤١ والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٥٧/٢.

(٥) إحياء علوم الدين ٨٤/١، وقال العراقي في تخريج الأحياء ٥٧/١: «لم أجده»، وذكره في الأسرار المرفوعة حديث وقم ٧٥٦، ونقل قول العراقي فيه.

ولكل شيء تشتيه طلاوة

مدفوعة إلا عن المدفوع

وانظر إرشاد رسول الله ﷺ ، وتلففه مع الأعرابي الذي بال في المسجد^(١)، ومع معاوية بن الحكم^(٢) لما تكلم في الصلاة^(٣) فإن انزجر لذكائه بالإشارة فذاك، وإلا نهاه سراً، فإن لم ينته نهاه جهراً، ويغلف القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره، ويتأدب به كل سامع، فإن لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع، وكذلك يتعهده بإفشاء السلام وحسن التخاطب في الكلام، وبالجمله فكما يعلمهم مصالح دينهم، لمعاملة الله يعلمهم مصالح دنياهم، لمعاملة الناس ليكمل لهم فضيلة الحاليتين، وبالله التوفيق.

ومن ذلك أن لا يتعاضم على المتعلمين، بل يلين لهم القول، ويتواضع لهم قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥) وقال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا^(٤) والأحاديث في التواضع ولين الجانب كثيرة^(٥)، وهذا التواضع لمطلق الناس، فكيف بهؤلاء الذين كأولاده مع

(١) البخاري ٤٤/١، ٢٢٤٢/٥ و ٢٢٧٠، ومسلم ٢٣٦/١، وفتح الباري ٣٢٣/١ و ٣٥٩ و ٤٩/٧، ٤٣٩/١٠ و ٤٤٩ و ٥٢٥، ٣٦٣/١١، تحفة الاحوذى ٣٩٢/١، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٩٠/٣.

(٢) هو معاوية بن الحكم السلمي: صحابي، يعد في أهل الحجاز، سكن المدينة.

الاستيعاب ترجمة ٢٤٦٢، وأمد الغاية ترجمة ٤٩٨١، والإصابة ١١٨/٦.

(٣) أي فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلَحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، انظر الخبر في الإصابة ١١٨/٦.

(٤) حديث حسن، رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه، عن عياض بن حمار انظر سلسلة الصحيحة ٥٧٠، وصحيح الجامع الصغير ١٧٢٥.

وانظر أيضاً شعب الإيمان ٢٨٥/٥ و ٢٧٤/٦، وحلية الاولياء ١٧/٢.

(٥) التذكرة الحمدونية ٩٢/٣، والمستطرف في كل من مستطرف ٤٠٠/١، ولباب الاداب ٢٥١ و ٢٥٢ فما بعد، ومحاضرات الادباء ٢٦٢/١، وتذكرة السامع والمتكلم ص ٦٤ و ٦٥.

ملازمتهم واعتمادهم عليه في طلب العلم، ومع ما هم عليه من حقِّ الصَّحبة، وحرمة التردد، وشرف المحبة، وصدق التودد، وفي الخبر عنه عليه السلام : **عَلِّمُوا وَلَا تَعْتَقُوا فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعْتَقِ** ^(١) وعنه عليه السلام : **لَيْنَا لِمَنْ تَعْلَمُونَ وَلِمَنْ تَعْتَقُونَ مِنْهُ** ^(٢).

ومن ذلك أن يُوقَّر طلبته ويُعَظَّمهم، ويحسَّن خلقه معهم، ويُرحَّب بهم إذا لقيهم، ويُعاملهم بالبشاشة، وطلاقة الوجه، ويحسن إليهم بعلمه وماله وجاهه، بحسب التيسير، وينبغي ^(٣) أن يُخاطَبَ كلاً منهم، لا سيما الفاضل للتمييز بكنيته ونحوها من أحبِّ الأسماء إليه، وما فيه من تعظيم وتوقير.

ففي الخبر عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله عليه السلام يكنى أصحابه إكراماً لهم ^(٤)، وجاء كثيراً مخاطبته لأبي بكر رضي الله عنه بالصدِّيق ^(٥) فَإِنَّ ذَلِكَ وَنَحْوَهُ أَشْرَحَ لَصُدُورِهِمْ، وَأَبْسَطَ لِسُؤَالِهِمْ، وَكَانَ الْبُويَطِيُّ ^(٦) يَدْنِي الْقُرَاءَ وَيَقْرِبُهُمْ إِذَا طَلَبُوا الْعِلْمَ، وَيَعْرِفُهُمْ فَضْلَ الشَّافِعِيِّ، وَفَضْلَ كُتُبِهِ، وَيَقُولُ : كَانَ الشَّافِعِيُّ يَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيَقُولُ : اصْبِرُوا لِلْغُرَبَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّلَامِيذِ ^(٧)، وَقِيلَ : كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ أَكْرَمَ النَّاسِ مَجَالَسَةً وَأَشَدَّهُمْ إِكْرَامًا لِأَصْحَابِهِ ^(٨)، وَإِذَا غَاب أَحَدُهُمْ غِيَةً زَائِلَةً عَنِ

(١) حديث ضعيف، كما نص على ذلك الشيخ الألباني في سلسلة الضعيفة ٢٦٣٥، وضعيف للجامع الصغير ٣٧٣١.

(٢) رواه أبو داود في سننه بمعناه ١٩٠ / ٢. وانظر الفردوس بمأثور الخطاب ٧٩ / ١.

(٣) تذكرة السامع ٦٥.

(٤) تذكرة السامع ٦٥.

(٥) سبل الهللى والرشاد ٢٥٤ / ١١.

(٦) هو أبو يعقوب، يوسف بن يحيى القرشي، البويطي: صاحب الإمام الشافعي، وواسطة عقد جماعته، قام مقامه في الدرس والإفتاء بعد وفاته، وهو من أهل مصر، حُفِلَ إلى بغداد في محبة. خلق القرآن، محمولاً على بطل، مقبلاً، وسجن بسبب ذلك، ومات في سجنه ببغداد سنة ٢٣١ هـ.

تاريخ بغداد ٢٩٩ / ١٤، وطبقات السبكي ١٦٢ / ٢.

(٨) تهذيب الأسماء ٥٠٦ / ٢.

(٧) تذكرة السامع ص ٦٦.

العادة سأل عنه، فإن لم يخبر عنه أرسل إليه أو قصد منزله بنفسه وهو أفضل، وإن كان مريضاً عاده، أو في غم خفض عنه، أو مسافراً تفقد أهله، وتعرض لقضاء حوائجهم ووصلهم بما أمكن.

ومن ذلك ينبغي أن يستعلم أسماء طلبته، وحاضري مجلسه وأنسابهم، ومواطنهم وأحوالهم، وأن يكون سمحاً ببذل ما حصله من العلم، سهلاً بإلقائه، متلطفاً في إفادة طالبه، مع إرشاد إلى المهمات، وتحريض على حفظ ما يبذله لهم من الفوائد، ولا يدخر عنهم ما يحتاجون إليه، أو يسألون عنه، لأن ذلك ربما يوحش صدورهم، وينفر قلوبهم، وكذلك لا يلتقى لهم شيئاً لم يتأهلوا له لأن ذلك يبدد أذهانهم، ويفرق أفهامهم، فإن سأل الطالب من ذلك شيئاً فيعرفه أن ذلك يضره، وأنه لم يمنعه شحاً، بل شفقة ونصحاً، ثم يرغبه في التحصيل ليتأهل لذلك، وقد روى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (آل عمران: ٧٩) إنه الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره^(١).

ومن ذلك صد المتعلم أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين، وفرض عينه: إصلاح ظاهره وباطنه.

ومن ذلك أن يكون حريصاً على تعليم الطلبة مهتماً بذلك مؤثراً ذلك على حوائجه ومصالحه، ويفهم كل واحد بحسب فهمه، ولا ييسط له الكلام بسطاً لا يضبطه حفظه، ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة، ويخاطب كلاً على قدر درجته وفهمه وهمته، فيكتفي للحاذق بالإشارة، ويوضح لغيره بالعبارة، ويكررها لمن لا يفهمها إلا بتكرار، ويبدأ بتصوير المسألة، ثم يوضحها بالأمثلة ويقتصر على ذلك من غير دليل ولا تعليل، فإن سهل عليه الفهم فيذكر له الدليل والتعليل، والمأخذ منه والمدرك، ويبين أسرار حكم المسألة وعللها

(١) رواه البخاري ٣٨/١، وتفسير القرطبي ١٢٢/٤.

وتوجيه الأقوال، وبين الفرق بين المسألتين، ومأخذ الحكمين، وبين ما يتعلق بالمسألة من النكت اللطيفة، والألغاز الطريفة، والأمثال والأشعار واللغات وما رُزِدَ عليها، أو على عبارة مملوها، وبينه على غلط من غلط فيها من حكم أو تخريج فيقول مثلاً: هذا هو الصواب أو الصحيح، وأما ما ذكره فلان فغلط أو ضعيف قاصداً بذلك النصيحة لا التقيص لمصنفه.

ومن ذلك أن يذكر لهم قواعد الفن التي لا تنخرم مطلقاً، أو غالباً مع مُستثنياتها أن لو كانت كقولنا: إذا اجتمع سبب ومباشرة، قدّمنا المباشرة على السبب في الضمان، وإن اليمين على المدعى عليه إذا لم تكن بينة إلا في القسامة، وإذا اجتمع قولان: جديد وقديم فالعمل بالجديد إلا في مسائل معدودة المشهور منه أربع عشرة مسألة، وأوصلها ابن الملقن^(١) إلى أكثر من ثلاثين ويذكرها أو ما حضره منها؛ وإن من قبض شيئاً لغرضه لا يقبل قوله في الردّ إلى المالك، ومن قبضه لغرض المالك قبل قوله في الردّ إليه لا إلى غيره^(٢)، وإن الحدود تسقط بالشبهة، وإن الاعتبار في اليمين بالله تعالى أو الطلاق أو العتاق أو غيرها بنية الحالف إلا أن يكون المستحلف قاضياً فاستحلفه بالله لدعوى اقتضته فالاعتبار بنية القاضي، أو نائبه المستحلف إن كان الحالف يوافقه في الاعتقاد وإلا فوجهان، وإن كل يمين على نفى فعل الغير فهي على نفى العلم إلا من ادعى عليه أن عبده جنى فيحلف على البت على الأصح، أو بهيمته جنت فيحلف على البت قطعاً، وإن السيد لا يثبت له مال في ذمة عبده

(١) هو أبو حفص، عمر بن علي بن أحمد الانصارى الشافعى، سراج الدين، ابن التحوى، المعروف بابن الملقن: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، أصله من وادى آش بالاندلس، له نحو ثلاثمائة مصنف، مولده ووفاته بالقاهرة سنة ٨٠٤هـ، ذيل الدرر الكامنة ١٢١، والذيل الثام ١/٤٢٢، وذيل طبقات الحفاظ ١٩٧ و ٣٦٩.

(٢) عون المعبود ١٠/٣٤، المحلى ٩/٣٧٩، وشرح النورى على صحيح مسلم ١٢/٢، والمغنى ٢٣/٦ و ٣٩٤/٨.

ابتداءً، وفي ثبوته دواماً وجهان، وكلّ عبادة يخرج منها بفعل منافيتها ومبطلها إلاّ الحجّ والعمرة، وكلّ وضوء يجب فيه الترتيب إلاّ وضوءاً تخلله غسل الجنابة^(١) وإن ما لا يجب التعرّض له في العبادة جملةً ولا تفصيلاً لا يضرّ الخطأ فيه، وما يجب التعرّض له تفصيلاً، أو جملةً يضرّ الخطأ فيه:

الأوّل: كخطيئ الإمام في تعيين تابعه لا يضرّ.

والثاني: كخطئه من الصوم إلى الصلاة، أو من صلاة فرض معين إلى غيره.

والثالث: كخطأ المأموم في تعيين الإمام.

وان إشارة الآخرس^(٢) كنطقه إلاّ في أربع مسائل: الشهادة في الأصح، وإبطال الصلاة، وانعقاد اليمين، وإذا حلف لا يكلم زيداً فأشار إليه، وإن إشارة الناطق القادر على العبارة لغوً إلاّ في أربع مسائل: الأمان، وإشارة الشيخ في رواية الحديث، وقوله: أنت طالق هكذا وأشار بأصابعه، وإذا سلّم على المصلي يرد بالإشارة، نصّ عليه في القديم^(٣)، وأشباه ذلك.

وكذلك يبين^(٤) له جملاً مما يحتاج إليه وينضبط من أصول الفقه كترتيب الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستصحاب عند من يقول به، وأنواع الأقيسة ودرجاتها، وحد الأمر والنهي والعموم والخصوص وغيرها، وأحكام ذلك وقواعده، وجملاً من^(٥) أسماء المشهورين من الصحابة فمن بعدهم من العلماء والأخبار، وتراجمهم ووفياتهم، وضبط المشكل من أنسابهم وأسمائهم والمشتبه من ذلك، والمختلف والمؤتلف، ونحو ذلك، وجملاً من

(١) المذهب ٥٤/١، والمجموع ٤٨٠/١، والشرح الصغير ١٢٠/١، والشرح الكبير ١٠٢/١، ومغنى

المحتاج ٥٤/١، والدر المختار ١١٣/١، وفتح القدير ٢٣/١، وتذكرة السامع ٥٧.

(٢) المغنى ١٤٨/٤ و ٣٤٩.

(٣) انظر المغنى ٣٧٣/٧، ونيل الأوطار ٣١/٧ و ٣٣.

(٤) كتاب العلم النووي ص ٩٦.

(٥) كتاب العلم للنووى ص ٩٧.

الألفاظ اللغوية والعرفية المتكررة في الفقه ضبطاً لمشكلها، وخفى معانيها فيقول: هي مفتوحة، أو مضمومة، أو مكسورة، مخففة أو مُشددة، مهموزة أولاً، عربية أو عجمية أو معربة وهي التي أصلها عجمي وتكلمت فيها العرب، مصروفة أم لا، مشتقة أو لا، مشتركة أم لا، مترادفة أم لا^(١).

وأن المهموز والمشدّد يُخفّفان أم لا، وأن فيها لغة أخرى أم لا، ويبين ما ينضبط من قواعد التصريف ونحو ذلك، وإذا وقعت مسألة غريبة لطيفة، أو مما يسأل عنه في المعايضة نبه عليها، وعرفهم حالها، ويكون تعليمه إياهم كلّ ذلك تدريجاً شيئاً فشيئاً، فيجتمع لهم مع طول الزّمان جمل كثيرة^(٢)، والله أعلم.

ومن ذلك أن يحرضهم على الاشتغال في كلّ وقت، ويطالبهم بإعادة محفوظاتهم، فمن وجده حافظاً مراعيّاً لمحفوظاته ومهمات وقواعده أثني عليه وأشاع ذلك، ومن وجده مقصراً عنفه وأعاده له ليحفظه حفظاً راسخاً^(٣).

ومن ذلك ينبغي له أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل ويختبر بذلك أفهامهم، ودليل ذلك ما رواه الشيخان عن ابن عمر^(٤) رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً...»^(٥)، الحديث.

(١) كتاب العلم للنووي ص ٩٧.

(٢) كتاب العلم للنووي ص ٩٧.

(٣) كتاب العلم للنووي ص ٩٧.

(٤) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي: صحابي، من أعزّ بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهوريّاً، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها سنة ٧٣هـ، الإصابة ترجمة ٤٨٢٥، ونكت الهميان ١٨٣.

(٥) الحديث في البخاري (٦١ و ١٣١)،

وفيه: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّمَا مِثْلُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ؟» قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسى أنها النخلة، قال: فاستحييت فقالوا: يا رسول الله ما هي؟ قال: «هي النخلة» قال عبد الله ابن عمر: فحدثت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالذي وقع في نفسى، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون لى كذا وكذا».

ومن ذلك إذا فرغ من شرح درسٍ فلا بأس بطرح^(١) مسائلَ تتعلّق به على الطلبة، وإعادة ذكر ما أشكل منه ليمتحنَ بذلك فهمهم وضبطهم لما شرحه لهم. فمن ظهر استحكام فهمه شكره، ومن لم يفهم تلطّف في إعاداته، والمعنى أنه ربما استحي من قوله لم أفهم، وسبب هذا: إما رفع كلفة الإعادة على الشيخ، أو لضيق الوقت، أو حياء من الحاضرين، أو كيلا تتأخّر قراءة بعضهم بسببه، ولذلك قيل^(٢): لا ينبغي للشيخ أن يقول للطالب هل فهمت إلا إذا أمِنَ من قوله نعم قبل أن يفهم، وينبغي للشيخ^(٣) أن يأمر الطلبة بالمرافقة في الدُّروس، وإعادة ما وقع من التقرير بعد فراغه ليثبت في أذهانهم، وإذا فهم الشيخُ فائدةً من البعض في البحث وإن كانت من صغير فينصفه بها، ويشكره عليها، فإن ذلك من بركة العلم، ولا يظهر الشيخ للطلبة تفضيل^(٤) بعضهم على بعض لا سيما إذا تساووا في الصفات: من سن أو فضيلة، أو تحصيل أو ديانة فترجيحُ بعضهم على بعض مما يوغر الصدور، فإذا ظهرت فضيلته يثنى عليه في حدّ ذاته من غير تصريح بأن فلاناً أفضل من فلانٍ فاعلم ذلك.

ومن ذلك أن يقدّم في التعليم^(٥) الأسبق فالأسبق إذا ازدحموا، ولا يقدّمه بأكثر من درسٍ إلاّ برضى الباقيين، ويختار إذا كانت الدُّروسُ في كتابٍ واحدٍ باتفاق منهم وهو المسمى بالتقسيم أن يبدأ في كلّ يومٍ بدرس واحد منهم فإن الدرس الأول ربما حصل فيه من النشاط والتقرير ما لا يحصل في الباقي إلاّ إذا

= وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٥٣١/٢، ومسند أحمد ١٢/٢ وفتح الباري ١٤٥/١، وتحفة الاحوذ.

١٣٥/٨، والفردوس بمأثور الخطاب ٢١١/١.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٣.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٣.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٤.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٩.

(٥) كتاب العا التووى ص ٩٧.

علم من نفسه عدم الملالة، وبقاء النشاط، في الدُّروس ترتيبَ الكتاب وإن رأى مع ذلك تقديمَ الأسبق ليحضر المتأخرَ على التَّقدم كان حسنًا، ولا يقدم أحدًا في نوبة غيره، ولا يؤخره عن نوبته إلا إذا رأى في ذلك مصلحةً، فإن سمح بعضهم لغيره في نوبته فلا بأس، وإن جاءوا معًا وتنازعوا أقرع كما سيأتى إن شاء الله في القسم الثالث من النوع الثالث.

ومن ذلك إذا سلك الطالب فوق ما يقتضيه حاله، وخاف ضجره أو صاه بالرقق بنفسه، وكذلك إذا ظهر له منه نوع سامة أو ضجر أمره بالراحة ولا يشير على الطالب بتعلُّم ما لا يحتمله فهمه أو سنُّه، ولا بكتاب يقصرُ عنه ذهنه، فإن استشاره من لا يعرف حاله في قراءة فنٍ مشكلٍ أو كتابٍ مشكلٍ لم يُشر عليه بشيءٍ حتى يجرب ذهنه، ويعلم حاله، فإن لم يحتمل الوقت التأخير أشار عليه بكتاب سهل من الفن المطلوب؛ فإن رأى فهمه جيدًا نقله إلى كتاب يليق بذهنه، لأنَّ نقل الطالب الذكي يزداد به فهمه واجتهاده وانبساطه، ونقل الطالب غير الذكي يكلُّ فهمه ونشاطه، ولا يمكن الطالب من الاشتغال في فنين أو أكثر إذا لم تضبطهما، بل يقدم الأهم فالأهم، وإذا غلب على ظنه أنه لا يفتح عليه في ذلك الفن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فلاحه فيه، وإذا كان الشيخ متكفلاً ببعض العلوم، فلا يُقبَّح للطالب باقى العلوم التي لا يحسنها، إذ من عادة مُعلِّم اللغة تقيُّحُ الفقه، ومعلِّم الفقه تقيُّحُ علم الحديث والتفسير، بل يوسع على الطالب طريقَ التعلُّم مطلقًا.

ومن ذلك أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره، قال النووى: وهذه مصيبةٌ يبتلى بها جهلةُ المعلمين لغباوتهم، وفسادِ نيتهم وإرادتهم بالتعليم غير وجه الله، وهذا إذا كان المعلم الآخر أهلاً، فإن كان فاسقًا أو مبتدعًا أو كثير الغلط فليحذر من الاغترار به والله يعلم المفسد من المصلح والله تعالى أعلم.

القسم الثالث

آدابه في درسه^(١)

فمنها: إذا عزم على التدريس، أن يتطهر من الحدث والحبث، فلا يلقي الدرس إلا على الطهارة، وأن ينظف ويطيب بدنه وثوبه، ويختار له لبس البياض، ولا يعتنى بفاخر الثياب، ولا يقتصر على خلق يتسبب صاحبه إلى قلة مروءة، وأن يتطيب ويُسرح لحيته، ويزيل كل ما يشينه: كان الإمام مالك رحمته الله إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولبس ثياباً جُددًا ووضع رداءه على رأسه، ثم يجلس على منصة، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ وقال: أحبُّ أن أعظم حديث رسول الله صلوات الله عليه ^(٢).

ومنها: قال ابن جماعة^(٣): يصلي ركعتي الاستخارة وينوي نشر العلم وتعليمه وبث الفوائد الشرعية، والاجتماع على ذكر الله، وإذا خرج من بيته للدرس فيدعو بما ورد في الصحيح عن النبي صلوات الله عليه فيقول: اللهم إني أعوذ بك أن أضلَّ أو أضلَّ، أو أزلَّ أو أزلَّ، أو أظلمَّ أو أظلمَّ، أو أجهلَّ أو يجهلَّ عليَّ، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك^(٤)، ثم يقول: باسم الله وبالله

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم ٣٠ فما بعده

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣١، والمنصة، بحسب الميم: الكرسي.

(٣) هو أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد فى حماة، وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى، وكان من خيار القضاة، وتوفى بمصر سنة ٢٩٧ هـ، له تصانيف منها: «تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم» وهو مطبوع مشهور، نكت الهميان ٢٣٥، والنجوم الزاهرة ٩/٢٩٨.

* وقول ابن جماعة فى كتابه تذكرة السامع والمتكلم ٣١، وانظر الخبر فى تذكرة السامع والمتكلم ص ٣١.

(٤) مجمع الزوائد ١٠/١٢٩، سنن أبى داود ٤/٣٢٥، المعجم الاوسط ٣/٣٤، المعجم الكبير =

حَسْبِيَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ جَنَانِي، وَأَدِرْ عَلَى الْحَقِّ لِسَانِي^(١)، وَيُدِيمُ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيَّ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَإِذَا وَصَلَ يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ حَضَرَ، وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ (إِنْ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ كِرَاهَةٍ)^(٢)، فَإِذَا كَانَ مَسْجِدًا تَأَكَّدَتْ الصَّلَاةُ وَإِنْ كَانَ وَقْتُ كِرَاهَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ وَتَوَاضَعٍ وَخُشُوعٍ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ^(٣) كَيْفَ اتَّفَقَ لَا مَقْعًا لِلْإِقْعَاءِ^(٤) الْمَكْرُوهِ فِي الصَّلَاةِ وَلَا مُسْتَوْفَزًا^(٥)، وَلَا رَافِعًا لِأَحَدٍ رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، وَلَا مَادًّا رِجْلَيْهِ أَوْ إِحْدَاهُمَا مِنْ غَيْرِ عَذَرٍ، وَأَنْ يَصُونَ بِدَنِّهِ عَنِ الزَّحْفِ وَالتَّنَقُّلِ عَنْ مَكَانِهِ، وَيَدِيهِ عَنِ الْعَبَثِ وَالتَّشْبِيكِ بِهِمَا، وَعَيْنِيهِ عَنِ تَفْرِيقِ النَّظَرِ بِلَا حَاجَةٍ وَيَتَقَى الْمَزَاحَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُقَلِّلُ الْهَيْبَةَ وَيُسْقِطُ الْحَشْمَةَ^(٦).

ومنها: أَنْ يُحَسِّنَ خُلُقَهُ مَعَ جُلَسَائِهِ وَيُوقِرَ فَاضِلَهُمْ بِعِلْمٍ أَوْ سَنٍّ أَوْ صَلَاحٍ أَوْ شَرَفٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَيَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى حَسَبِ تَقْدِيمِهِمْ فِي الْإِمَامَةِ وَيَكْرُمُهُمْ بِحَسَنِ السَّلَامِ، وَطَّلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَالْبَشَاشَةِ وَالِابْتِسَامِ وَالْقِيَامِ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْاحْتِرَامِ^(٧)، وَلِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِي الدِّينِ فِي التَّرْخِيصِ فِيهِ كِتَابٌ مُسْتَقِلٌّ^(٨)

= ٣٢٠ / ٢٣، ٩ / ٢٤، تحفة الاحوذى ٩ / ٢٧٢، فيض القدير ٥ / ١٢٤. وانظر تذكرة السامع والمتكلم ٣١.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٣٢. (٢) زيادة من تذكرة السامع والمتكلم ٣٢، يقتضيها السياق.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٣٢.

وقال سلم بن جنادة: جالست وكيعاً سبع سنين فما رأيته يزق ولا من حصاة ولا جلس مجلسه فتحررك، ولا رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله وكان وكيع بن الجراح أحد الأئمة الاعلام، وكفى بالعالم أن يقتدى بمثل هذا الإمام.

انظر تذكرة الحفاظ ١ / ٣٠٦.

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ٤ / ٢١٥.

(٥) يقال: استوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن، أو وضع ركبته ورفع إليه، أو استقل على رجله.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ٣٢. (٧) تذكرة السامع والمتكلم ٣٣.

(٨) هو كتاب (الترخيص في الإكرام بالقيام لذوى الفضل والمزية من أهل الإسلام). انظر كشف

الظنون ١ / ٣٩٨.

شفي فيه الغليل، وأتى فيه بواضح الدليل، وأجاب عما يوهم كراهته نفع الله ببركاته.

ومنها: أن يقدم تلاوة القرآن العظيم في البحث والتدريس، ثم إن كان في مدرسة اتبع شرطها، ويدعو عقيب القراءة لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين^(١) بعد أن يدعوا للعلماء الماضين، ومشايخه والديه والحاضرين ولواقف المكان، وكان بعضهم يؤخر ذكر نفسه في الدعاء عن الحاضرين تأدباً والكل حسن، وقد عمل قوم بالأول، وقوم بالثاني^(٢). انتهى.

ويستحب لهم إذا اجتمعوا للعلم قراءة سورة، وكان الحافظ الشهاب ابن حجر^(٣) يستفتح مجلس إملائه بسورة الأعلى، وسئل عن الحكمة في قراءتها فقال: تبعت في ذلك شيخنا العراقي^(٤) ومناسبتها: ﴿سَتَقْرَأُ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى: ٦) وقوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ (الأعلى: ٩) وقوله: ﴿إِنْ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (الأعلى: ١٨) ويستحب إذا اجتمع صاحبان أن يقرأ قبل التفرق سورة العصر، ولمن رأى ما يحب أن يقول: الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أو يكره: الحمد لله

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٣٤.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣٥.

(٣) هو أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد الكنانى المقلاني، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ، ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت شهرته، فقصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين، وأخبار المتأخرين، وولى قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فهي كثيرة جليلة، عظيمة الفائدة، مولده ووفاته بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ، الضوء اللامع ٣٦/٢، والأعلام ١٧٨/١.

(٤) هو أبو الفضل، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بحاته، من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد، ومولده في رازنان (من أعمال إربل) تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبع فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة سنة ٨٠٦هـ وتصانيفه كثيرة مفيدة، إنباء الغمر ٢٧٥/٢، الضوء اللامع ١٧١/٤، والأعلام ٣٤٤/٣.

عَلَى كُلِّ حَالٍ، أَوْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَمَنْ آتَاهُ خَيْرٌ صَالِحٌ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ شُكْرًا، وَلَكَ الْمَنَ فَضْلًا، وَلَمَنْ غَضِبَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَمَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَيُحْمَدُهُ، وَفِي رَوَايَةٍ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَيُحْمَدُكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَفِي رَوَايَةٍ: اللَّهُمَّ ثَبِّ عَلَىَّ وَاغْفِرْ لِي ثَلَاثًا، وَفِي رَوَايَةٍ: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

ومنها: إِذَا تَعَدَّدَتِ الدُّرُوسُ^(٢) أَنْ يُقَدَّمَ أَشْرَفَ الْعُلُومِ وَأَهْمُهَا، فَيُقَدَّمَ التَّفْسِيرُ ثُمَّ الْحَدِيثُ ثُمَّ الْفِقْهَ، ثُمَّ الْأُصُولُ أَصُولَ الدِّينِ ثُمَّ أَصُولَ الْفِقْهِ ثُمَّ الْمَذْهَبُ ثُمَّ الْخِلَافُ أَوْ النَّحْوُ أَوْ الْجَدَلُ، وَبَعْضُهُمْ آخَرُ الْجَدَلِ عَنْ الْخِلَافِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَخْتَمُ دَرَسَهُ^(٣) بِرَفَائِقِ تَقْيِيدِ تَطْهِيرِ الْبَاطِنِ، فَإِنْ كَانَ فِي مَدْرَسَةٍ لَوَاقِفَهَا فِي الدُّرُوسِ شَرْطُ اتِّبَاعِهِ وَلَا يُخْلَى بِمَا هُوَ أَهَمُّ مَا بَنِيَتْ لَهُ تِلْكَ الْبَنِيَّةُ وَوَقِفَتْ لِأَجَلِهِ.

ومنها: أَنْ لَا يَطِيلَ^(٤) مَجْلِسُهُ تَطْوِيلًا يَمْلَأُهُمْ أَوْ يَمْتَنُّهُمْ فَهَمُ الدَّرْسِ وَضَبْطُهُ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ إِفَادَتَهُمْ وَضَبْطَهُمْ، فَإِذَا ضَارُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ فَاتِ الْمَقْصُودِ، وَلَا يَقْصُرُهُ، تَقْصِيرًا يَخْلُ، فَيَرَاعَى الْمَصْلَحَةُ فِي التَّنْظِيلِ وَالتَّقْصِيرِ.

ومنها: أَنْ لَا يَدْرُسَ^(٥) وَبِهِ مَا يَزْعَجُهُ وَيَنْهَبُ اسْتِحْضَارَهُ كَمَرَضٍ أَوْ جُوعٍ أَوْ عَطَشٍ^(٦) أَوْ مُدَافَعَةٍ حَدَثٍ، أَوْ شِدَّةِ فَرَحٍ أَوْ غَمٍّ أَوْ غَضَبٍ أَوْ نُعَاسٍ أَوْ قَلَقٍ وَلَا

(١) هذه الآيات آخر سورة الصافات (الآيات ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢) انظر تفسير الطبري ١٠/٥٤٢ -

٥٤٣، والقرطبي ١٥/١٤٠ و ١٤١.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣٥.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٣٨.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٣٣.

(٥) قلت: هذا من أعظم الأمور التي لوحظت في الدرس من القرون السابقة إلى هذا العصر، وقد حكى أن أبا يوسف (رحمه الله تعالى) كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط، وكان صهره عنده يتعجب في أمره ويقول: أنا أعلم أنه جائع منذ خمسة أيام ومع ذلك يناظر بقوة ونشاط، وانظر تعليم المتعلم للزرنوجي ٢١.

فى حال برده المؤلم، وحرّة المزعج، فربّما أجاب أو أفتى بغير الصواب، ولأنّه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النّظر، ولا يكون فى مجلسه ما يؤذى الحاضرين بل يكون واسعاً مصوّناً من الحرّ والبرد والريّح والغبار والدّخان ونحو ذلك.

ومنها: ينبغى مراعاة^(١) مصلحة الجماعة فى تقديم وقت الحضور وتأخيرها فى النهار، وأفتى بعض أكابر العلماء أنّ المدرّس إذا درّس قبل طلوع الشمس أو آخره إلى بعد الظّهر لم يستحقّ معلوم التّدرّس إلّا أنّ يقتضيه شرط الواقف لمخالفته العرف المعتاد، ولا يرفع صوته زيادة على الحاجة، ولا يخفضه خفصاً يمنعهم من كمال الفهم^(٢)، روى عن النّبي ﷺ قال: إنّ الله يحبّ الصّوت الخفيض ويُبغض الصّوت الرّفع^(٣) قال أبو عثمان محمد^(٤) ابن الإمام الشافعى رحمه الله: ما سمعت أبى يناظر أحداً قطّ فرفع صوته^(٥)، أى لم يرفع فوق العادة^(٦) فإن حضر فيهم ثقیل السّمع، فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يسمعه^(٧).

ومنها: أن يصون مجلسه من اللّغط، وعن رفع الأصوات، وسوء الأدب فى المباحثة واختلاف جهات البحث^(٨)، قال الرّبيع^(٩): كان الشافعى إذا ناظره أحد

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٤١٢/١، وانظر أيضاً تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.

(٤) وهو أكبر أولاد الشافعى، ولما توفى والده كان بالغاً مقيماً بمكة، ولى القضاء بالجزيرة وأعمالها، وولى أيضاً القضاء بمدينة حلب، وبقي بها منين كثيرة، توفى فى الجزيرة بعد سنة ٢٤٠هـ طبقات الشافعية الكبرى ٧١/٢.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.

(٦) فى تذكرة السامع والمتكلم ٣٩، قال البيهقى. «أراد - والله أعلم - فوق عاداته».

(٧) تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.

(٨) تذكرة السامع والمتكلم ٤٠.

(٩) هو أبو محمد، الرّبيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى، بالولاء، المصرى: صاحب الإمام الشافعى، وراوى كتبه، وأول من أملى الحديث بجامع ابن طولون، كان مؤدّباً، وفيه سلامة وغفلة، مولده ووفاته فى مصر سنة ٢٧٠هـ. السير ٥٨٧/١٢، وطبقات السبكي ١٣٢/٢.

في مسألة فغداً إلى غيرها يقول: نفرغ من هذا مسألة ثم نعود إلى ما تريد^(١) والقصد من البحث ظهور الحق، وحصول الفائدة، واستفادة البعض من البعض لا القيام مع الفوس والجدل والمماراة، فإن ذلك مذموم شرعاً، فلا يليق بأهل العلم تعاطي المناقشة بالمنافسة والشحناء، لأن ذلك يورث العداوة والبغضاء، بل يجب الاجتماع على الحق عملاً بقول الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُطْلِ الْبَاطِلَ وَلِتُزْكَرَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٨) ولتجزر من تعدى في بحثه، وظهر منه سوء أدب، أو لدّد^(٢)، أو ترك إنصاف بعد ظهور الحق، أو أكثر الصياح بغير فائدة، أو أساء أدبه على غيره من الحاضرين أو الغائبين، أو ترفع في المجلس على من هو أولى منه، أو نام، أو تحدث مع غيره، أو ضحك، أو استهزأ بأحد^(٣)، وينبغي أن يكون له نقيب قطن كيس درب يرتب الحاضرين ومن يدخل عليه على قدر منازلهم، ويوقظ النائم، وينبه الغافل، ويأمر بسماع الدروس والإنصات لها^(٤).

ومنها: أن يلزم^(٥) الإنصاف في بحثه وخطابه، ويسمع السؤال من مؤرده على وجهه، وإذا عجز السائل عن تقرير ما أورده لحياء ونحوه عبر الشيخ عن مراده، وبين وجه إيراده، ثم يجيبه عن ذلك السؤال، ويفهمه إياه على أحسن منوال وينبغي أن يتودّد لغريب حضر عنده لينشرح صدره، فإن للقدام دهشة^(٦).

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٠. (٢) لده يلدّه لدا: خصمه، فهو لادّ ولدود، تاج العروس ١٣٨/٩.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٤١، وانظر ما قاله أبو حارم الأعرج، وكان من العلماء الأبرار: «رأيتنا في مجلس ريد بن أسلم أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواصي بما في أيدينا، وما رأيت فيه متمارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا... انظر تذكرة الحفاظ ١٢٤/١.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٤١، والحق إن بالمذاكرة يثبت المحفوظ، وإن مداخرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المذاكرة والمطالعة والحفظ ساعات بل أيام.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٤١.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ٤٣، وهناك أمثلة كثيرة تدلّ على مثل هذه الشفقة على المتعلم، وعن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه، قال: قلت لسعد بن مالك: إني أريد أن أسالك عن شيء، وإنني أمالك، فقال: لا تهني يا بن أخي إذا علمت أن عندي علماً فسلني عنه.

ومنها: إذا أقبل بعض الفضلاء وقد شرع في مسألة أمسك عنها حتى يجلس وإن جاء في أثناء بحثها أعادها له^(١).

ومنها: إذا سُئِلَ عن شيءٍ لا يعرفه، أو عَرَضَ في الدرس ما لا يعرفه فليقل لا أعرفه أو لا أتحققه أو لا أدري^(٢)، ولا يستكف عن ذلك فمن علم العالم أن يقول فيما لا يعلم: لا أعلم والله أعلم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (سورة ص: ٨٦) وقال عمر رضي الله عنه: نُهِنَا عن التكلف، وقال علي رضي الله عنه: إذا سُئِلْتُمْ عما لا تعلمون فاهربوا، قالوا: كيف الهرب؟ قال: تقولون الله أعلم، وقال ابن عباس: إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله^(٣)، وقد نظمه الإمام أبو بكر^(٤) بن دريد فقال (من الطويل):

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٤٢، وقد قال العلماء: كلمة «لا أدري» نصف العلم، ولنا أمثلة عالية في هذا التعليم، وذلك عن الإمام الجليل، إمام الكوفيين في اللغة والنحو، حيث قال أبو عمر الزاهد، وهو غلام ثعلب: كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فسأله سائل عن شيء، فقال: لا أدري، فقال له: أتقول لا أدري؟ وإليك تضرب أكباد الإبل، وإليك الرحلة من كل بلد، فقال له أبو العباس ثعلب: لو كان لامك بعدد ما لا أدري بحر لاستغنت.

وقيل: ينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري لكثرة ما يقولها، واعلم أن قول المستول لا أدري لا يضع من قدره كما يظنه بعض الناس الجهلة بل يرفعه؛ لأنه دليل عظيم على عظم محله وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته، وحسن تثبته.

تذكرة السامع والمتكلم ٤٢ - ٤٣.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٤٢.

(٤) هو أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد الأزدی: من أئمة اللغة والأدب، ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان، وعاد إلى البصرة، ثم رحل إلى نواحي فارس، فقلده (آل ميكال) ديوان فارس، ثم رجع إلى بغداد، وأقام بها حتى وفاته، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب: المقصورة الدريدية الشهيرة، وله ديوان شعري مطبوع، توفي في سنة ٣٢١هـ.

تاريخ بغداد ١٩٥/٢، ووفيات الأعيان ٣٢٣/٤.

ومن كان يهوى أن يرى مُتصدراً

ويكره لا أدرى أصيبت مقائلته^(١)

وقال ابن عمر رضي الله عنه وقد سُئل عن شيء: لا أدرى ثم أتبعها فقال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسوراً في جهنم أن تقولوا: أفتانا بهذا ابنُ عمر^(٢)، وقال ابن عمر أيضاً العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدرى^(٣)، وقال بعضهم: تعلم لا أدرى فإنك إن قلت لا أدرى علموك حتى تدري، وإن قلت أدرى سألوكم حتى لا تدري، قال شيخ الإسلام النووي كغيره: واعلم أن معتقد المحققين أن قول العالم لا أدرى لا يضع منزلته بل هو دليل على عظم محله وتقواه وكمال معرفته لأن المتمكن لا يضره عدم معرفته مسائل معدودة بل يُستدلّ بقول لا أدرى على تقواه، وأنه لا يجازف في فتواه، وإنما يمتنع من لا أدرى من قلّ علمه وقصرت معرفته وضعف تقواه، لأنه يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين وهذه جهالة منه فإنه بإقدامه على الجواب فيما لا يعلمه يبوء بالإثم العظيم، وهو مجازف لجهله وقلة دينه، وفي الصحيح: أنه عليه السلام قال: الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسُ ثَوْبَي زُورٍ^(٤)، وقد أدّب الله تعالى العلماء بقصة موسى والخضر عليهما السلام حين لم يردّ موسى العلم إلى الله تعالى لما سُئل هل أحدٌ في الأرض أعلم منك^(٥).

(١) ديوان ابن دريد ١٠٥، وقبله:

جهلتَ فعاديت العلوم وأهلها

كذاك يُعادى العلم من هو جاهله

(٢) الزهد لابن المبارك ١٨/١.

(٣) المعجم الاوسط ٢٩٩/١، والتمهيد ٢٦٦/٤، وفيض القدير ٣٨٧/٤.

(٤) سنن أبي داود ٢٩٩/٤، والبيان والتعريف ٢٣٨/٢، والديباج ١٦٧/٥، وصفوة الصفوة ٢٠٨/١، والجامع لمعمر بن راشد ٢٤٨/١١.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٤٣، ولنا في ذلك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، عن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي البلاد شر؟ قال: لا أدرى، فما أرى =

ومنها: ما جرت به العادة أن يقول المدرس عند ختم كل درس: والله أعلم^(١)، قال ابن جماعة^(٢): الأولى أن يقال قبل ذلك كلامٌ يُشعرُ بختم الدرس كقوله: وهذا آخره، أو ما بعده يأتي، ونحو ذلك ليكون قوله: والله أعلم خالصاً، لذكر الله ولقصد معناه، قال^(٣): ولهذا ينبغي أن يستفتح كل درس بسم الله الرحمن الرحيم ليكون ذاكراً لله في بدئه وخاتمه.

ومنها^(٤): ينبغي للمدرس أن يمكث قليلاً بعد قيام الجماعة لئلا يزدحموا عند خروجهم، ولأنه إن كان في نفس أحد بقايا سؤالٍ تأخر وسأله.

النوع الثالث

آداب يختصُّ بها المتعلم وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: آدابه في نفسه، وآدابه مع شيخه، وآدابه في مجلس درسه.

القسم الأول

آدابه في نفسه^(٥)

منها: أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه، ويقصد بتعلمه وجه الله والعمل وإحياء الشريعة، قال عليه السلام: **إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**^(٦)، قالوا: تطيب القلب للعلم كتطيب الأرض للمزارعة، فبذلك ينمو وتظهر بركته، وإلا فلا

= جبريل محمدًا عليه السلام قال: يا جبريل، أى البلاد شر؟ قال: لا أدري حتى أسأل ربى، فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله له أن يمكث، ثم جاء، فقال: يا محمد سألتنى: أى البلاد شر، وإنى قلت: لا أدري، وإنى سألت ربى: أى البلاد شر، فقال: أسواقها.
المستدرک ٩٠ / ١.

(٢) فى كتابه: تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٤٥.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٤٥.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٦٧، فما بعد.

(٦) رواه البخارى فى كتاب الإيمان.

ينمو ولا يزكو، كالزَّرْع في أرضٍ بَوْرٍ غير مُطَيَّبة، وقال سهل بن عبد الله^(١):
حرامٌ على قلبٍ أن يدخله النورُ وفيه شيءٌ مما يكره الله عزَّ وجلَّ.

ومنها: أن يغتنم التحصيل وقت الفراغ والنشاط^(٢) وحال الشباب وقوة البدن ونباهة الخاطر، وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة، روينا عن عمر رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تُسودَّوا أي تصيروا سادة فتستحيوا من التعلم^(٣)، قال لشافعي رضي الله عنه: تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه^(٤)، وجاء في الخبر: مثلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ العلمَ في صِغَرِهِ كَالنَّقْشِ عَلَى الْحَجَرِ وَمِثْلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ العلمَ في كِبَرِهِ كَالَّذِي يَكْتُبُ عَلَى الْمَاءِ^(٥)، وقال ابن عباس رضي الله عنه: ما أوتى عالمٌ علمًا إلا وهو شاب^(٦)، وهذا باعتبار الغالب، وإلا فمن كبر لا ينبغي له أن يُحجَمَ عن الطلب، فإن الفضل واسع والكرم وافر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢) وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (القصص: ١٤) وقال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ (الشعراء: ٢١) إلى غير ذلك، وقصة القفال^(٧) واشتغاله في كِبَرِهِ بالعلم

(١) هو أبو محمد، سهل بن عبد الله بن يونس التُّتْرِي: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات، وعبود الأفعال، توفي في سنة ٢٨٣هـ.
الحلبة ١٩٨/١٠، والأعلام ١٤٣/٣.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧٠.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ١٣٤.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ١٣٤.

(٥) مجمع الزوائد ١/١٢٥، وفيض القدير ٥/٥٠٩، وكشف الخفاء ٢/٨٦، والفردوس بمأثور الخطاب ٤/١٣٥، واللائلي المصنوعة ١/١٠٢، وتذكرة الموضوعات ص ٢٢.

(٦) المعجم الأوسط ٦/٢٨٣، ومجمع الزوائد ١/١٢٥.

(٧) هو أبو بكر القفال، عبد الله بن أحمد المروزي: فقيه شافعي، كان وحيد زمانه فقهًا وزهدًا كثير الآثار في مذهب الإمام الشافعي، له «شرح فروع محمد بن الحداد المصري» في الفقه، وكانت صناعته عمل الأقفال، قبل أن يشتغل بالفقه وربما قيل له «القفال الصغير» للتمييز بينه وبين القفال الشاشي (محمد بن علي) توفي في سجنستان ٤١٧هـ، وفيات الأعيان ٣/٤٦، والسب ١٧/٤٠٥.

مشهورة معلومة مسطورة^(١)، فيا هذا احذر التسويف في شبابك والكسل، وسدّ على كبرك باب الرجاء والأمل، واغتتم ما بقى من عمرك، وما أحسن قول من قال (من البسيط):

بقية العمر عندي ما لها ثمنٌ

وإن مضى غير محمود من الزمن

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحُ

حي ما أَمات ويمحو السوء بالحسن

ومنها: أن^(٢) يقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة، والعوائق المانعة عن تمام الطلب وكمال الاجتهاد، ويرضى^(٣) بما تيسر من القوت، وبما ستر مثله من اللباس وإن كان خَلَقًا، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم، وتتفجر ينابيع الحكمة^(٤)، قال الشافعي رحمته الله: لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح^(٥)، وقال أيضًا: لا يدرك العلم إلا بالصبر على الذل، وقال أيضًا: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس^(٦)، ونقل الخطيب البغدادي^(٧) عن بعضهم قال: لا ينال هذا العلم إلا من عطل دُكانه، وخرب بُستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته^(٨)، وهذا كله وإن كان فيه مبالغة فالمقصود

(١) وفيات الأعيان ٤٦/٣، والسير ٤٠٦/١٧ و ٤٠٧، وطبقات الشافعية الكبرى ٥٤/٥.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧٠. (٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ٧٢.

(٧) هو أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المتقدمين، مولده في (عُزْبَة) منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته في بغداد، رحل إلى مكة، وسمع بالبصرة والدينور والكوفة، وغيرها، وكان فصيح اللهجة، عارفاً بالادب، يقول الشعر، ولو عا بالمطالعة والتأليف، توفي في سنة ٤٦٣ هـ.

وفيات الأعيان ٩٢/١، والسير ٢٧٠/١٨.

(٨) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

به أنه لا بدَّ فيه من جمع القلب، واجتماع الفكر^(١)، وقيل أمر بعض المشايخ طالباً بنحو ما رواه الخطيب فكان آخر ما أمره به أن قال: اصبغ ثوبك كيـه يشغلك فكر غسله^(٢)، ومما يقال عن الشافعي رحمته الله أنه قال: لو كُلفتُ شراء بصلة، لما فُهمتُ مسألة^(٣)، وقال إمام الحرمين^(٤) رحمه الله (من الطويل):

أخي لن تنال العلم إلا بستة

سأنبئك عن تفصيلها ببيان^(٥)

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغّة^(٦)

وتلقين أستاذ وطول رمان

فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تُعطيه كلك وقد قيل على رواية وعُزبة: يشتغل بحقوق الزوجة عن إكمال طلب العلم، واحتجَّ بحديث: خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ كُلُّ خَفِيفِ الْحَاذِ، قيل: يا رسول الله ومن خفيف الحاذ؟ قال: مَنْ لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا مَالَ^(٧)، قال سفيان الثوري: مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ فَإِنْ وُلِدَ لَهُ فَقَدْ

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

(٤) هو أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي، ولد في نواحي نيسابور، ورحل إلى بغداد، ومكة، والمدينة، ثم رجع إلى نيسابور، وكان يحضر دروسه كبار العلماء، له مصنفات كثيرة توفي في سنة ٤٧٨ هـ.

وفيات الأعيان ١٦٧/٣، والسير ٤٦٨/١٨.

(٥) البيتان في تعليم المتعلم للزرنوجي ص ٤٤ وقد نسبهما للإمام على رحمته الله، وانظر ديوانه ص ٢٠١، ونسب البيتان أيضاً للإمام الشافعي، انظر ديوانه (جمع وملق: محمد عفيف الزغبى) ص ٨١.

(٦) قيل عن السلف هكذا: وعُزبة من التُغريب عن الأهل، لأن الفكرة إذا تورّعت قصرت عن إدراك الحقائق، وقيل: وعُزبة من العزوبية وهو صحيح أيضاً لئلا يشتغل بحقوق الزوجة عن إكمال طلب العلم، وقيل: وبلغّة من السعة في المال، ولهذا قال الشافعي كما تقدّم: لو كُلفتُ شراء بصلة، ما تعلمت مسألة، فإذا كان معه بلغّة فكأنه ما تكلف.

(٧) شعب الإيمان ٢٩٢/٧، والزهد وصفة الزاهدين ٦١/١، انظر ما قيل عن هذا الحديث حاشية ١٤٠٣ في زبدة فضل، وكتاب العلم للنوى ص ١٠٣.

كُر^(١) به، وعن إبراهيم بن أدهم^(٢): مَنْ تَعَوَّدَ أَفْخَاذَ النِّسَاءِ لَمْ يُفْلَحْ^(٣)، وعن بشر الحافي^(٤): مَنْ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى النِّسَاءِ فَلَيْتَقِيَ اللَّهَ وَلَا يَأْلَفَ أَفْخَاذَهُنَّ^(٥)، قال النووي^(٦) رحمه الله: وهذا كله موافق لمذهبنا إن لم يحتج إلى النكاح استحب له تركه وكذا إن احتاج وعجز عن مؤنته، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد^(٧) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٨)، وقال ﷺ: «الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مِنَ النِّسَاءِ»^(٩).

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٧٢، وكتاب العلم للنوى ص ١٠٣.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن أدهم بن منصور، التهميمي البليخي: زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ، فنفقه ورحل إلى بغداد، وجال فى العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علمائها، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة فى قتال الروم، ومات فى بلاد الروم سنة ١٦١هـ.

الحلية ٤٢٦/٧، وفوات الوفيات ١٣/١.

(٣) حلية الأولياء ١٢/٧، وكشف الخفاء ٤٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٥٨/٧ و ٤٧٢/١٠، وكتاب العلم للنوى ص ١٠٣.

(٤) هو أبو نصر، بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروى، المعروف بالحافى: من كبار الصالحين، له فى الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مرو، سكن بغداد وتوفى بها سنة ٢٢٧هـ، تاريخ بغداد ٦٧/٧، وفوات الأعيان ١/٢٧٤.

(٥) كتاب العلم للنوى ص ١٠٣.

(٦) انظر هذا القول فى كتابه العلم ص ١٠٣.

(٧) هو أبو محمد، أسامة بن زيد بن حارثة: صحابى جليل، ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً، وهاجر مع النبى ﷺ إلى المدينة، وأمره رسول الله ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظهرًا موفقًا، مات فى المدينة سنة ٥٤هـ، السير ٤٩٦/٢، والأعلام ٢٩١/١.

(٨) البخارى ١٩٥٩/٥، ومسلم ٢٠٩٨/٤، وصحيح ابن حبان ٣٠٨/١٣، وسنن الترمذى ١٠٣/٥، سنن ابن ماجه ١٣٢٥/٢ وتحفة الأحوذى ٢٣٤/٥، ٥٣/٨، وكتاب العلم للنوى ص ١٠٣، ١٠٤.

(٩) المعجم الأوسط ١٤٠/٤، ومسند أحمد ٢٢/٣ و ٨٤، وشعب الإيمان ٣١٠/٦، وكشف الخفاء ٩٢٠.

ومنها: أن يتورّع في جميع^(١) شأنه، ويتحرّى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، ليستنير قلبه ويصلح لقبول العلم، ولا يقنع لنفسه بظاهر الحلّ شرعاً مهما أمكنه التورّع، ولم تلجئه حاجة بل يطلب الرتبة العلية، ويقتدى بالسلف^(٢) الصالح في التورّع عن كثير مما كانوا يفتنون بجوازه، وأحقّ من اقتدى به في ذلك رسول الله ﷺ حيث لم يأكل التمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة^(٣).

وينبغي له أن يستعمل الرخص في مواضعها عند الحاجة إليها ووجود سببها ليقتدى به، فإن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه^(٤).

ومنها: أن يترك العشرة^(٥)، فإن تركها من أهم ما ينبغي لطالب العلم، ولا سيما لغير الجنس، وخصوصاً لمن كثر لعبه وقلّت فكرته، فإن الطبع سراق، وآفة العشرة ضياع العمر بغير فائدة، وذهاب العرض والدين والمال، ولا يخالط طالب العلم إلا من يفيد أو يستفيد منه، فإن عاش من يضيع عمره معه بلا فائدة فليتلطف في قطع عشرته قبل تمكنها، فإن الأمور إذا تمكنت عسرت إزالتها^(٦) ومن الجارى على السنة الفقهاء بل هو من القواعد: الدفع أسهل من الرفع^(٧)، فإن احتاج إلى المصاحبة فليكن صاحب صالحاً ديناً تقياً ورعاً ذكياً، كثير الخير قليل الشر، حسن المداراة، قليل المماراة، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه، وإن ضجر صبره^(٨)، ومما ينسب إلى الإمام على بن أبي طالب (من مجزوء الوافر):

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٧٥.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧٦.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧٦.

(٤) تذكرة السامع ٧٦.

(٥) تذكرة السامع ٨٣.

(٦) تذكرة السامع ٨٣.

(٧) تذكرة السامع ٨٣.

(٨) تذكرة السامع ٨٤.

فلا تصحب أخا الجهل
 وإيّاك وإيّاها^(١)
 فكم من جاهل أردى
 حليمًا حين واخاه
 يقاس المرء بالمرء
 إذا ما هو ما شاء
 وللشيء على الشيء
 مقاييس وأشباه

ولبعضهم (من الرجز):

* إن أخاك الصدوق من كان معك *
 * ومن يضرب نفسه لينفعك^(٢) *
 * ومن إذا ربّ زمان صدعك *
 * شئت شمل نفسه ليجمعك *

ومنها: الحلم والأناة والصبر جهده مطلقًا في كل أحواله، وأن يكون حريصًا على التعلم مواظبًا عليه في جميع أوقاته: ليلاً ونهاراً، حضراً وأسفاراً، ولا يذهب شيئاً من أوقاته في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم قدر لا بدّ منه، واستراحة يسيرة لإزالة الملل وأداء حق الزوجة^(٣)، ومؤانسة الزائر وتحصيل القوت وغيره مما يحتاج إليه، وليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثم فوتها.

(١) ديوان الإمام على ص ٢٠٥، وتذكرة السامع ٨٤.

(٢) البيان للإمام على كما في ديوانه ١٤٢، وشرح نهج البلاغة ١١٣/١٨، وديوان المعاني ١٢٣/١، وانظر تذكرة السامع ٨٥.

(٣) تذكرة السامع ٢٧.

ففى صحيح مسلم عن يحيى بن أبى كثير^(١): لا يُستطاع العلمُ براحة الجسم^(٢) وفى الحديث: حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ^(٣).

وكما قيل:

* ولا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ^(٤) *

(بيت رجز)

وكما قيل (من البسيط):

لا تحسب المجد تمرّاً أنت تأكله

لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبر^(٥)

ومنها: أن تكون همّة عالية فلا يرضى باليسير مع إمكان الكثير، ولا يسوّف فى اشتغاله، ولا يؤخّر تحصيل فائدة وإن قلّت، وعن الربيع^(٦) قال: لم أرَ الشافعى أكلاً بنهار ولا نائماً بليل لا اهتمامه بالتّصنيف^(٧).

ومنها: أن يحذر فى ابتداء أمره من الاشتغال فى الاختلاف^(٨) بين العلماء

(١) هو أبو نصر ابن أبى كثير، يحيى بن صالح الطائى بالولاء، اليمامى: عالم أهل اليمامة فى عصره، من أهل البصرة، يقال: أقام عشر سنين فى المدينة يأخذ عن أعيان التابعين، وسكن اليمامة، فاشتهر، وكان من ثقات أهل الحديث، رجّحه بعضهم على الزهرى، توفى فى سنة ١٢٩هـ.

السير ٢٧/٦، وتهذيب التهذيب ٢٦٨/١١.

(٢) تذكرة السامع ٢٧.

(٣) تذكرة السامع ٢٧.

(٤) عجز بيت لأبى الطيب المتنبى وصدوره:

* تريدين إدراك المعالى رخيصة *

(٥) البيت بلا نسبة كما فى حلية الأولياء ٣٠٤/١٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٦٣/١، ونفح الطيب

٥٠٥/٢، وأمالى القالى ١١٢/١، ونوادر المخطوطات ١٥٧/٢.

الصبر: عصارة شجر مرّ، ولا يُسَكَّنُ إلا فى ضرورة الشعر.

(٦) تذكرة السامع ٢٨، والربيع هو ابن سليمان المرادى، صاحب الشافعى، وناقل علمه.

(٧) تذكرة السامع ٢٨.

(٨) تذكرة السامع ١١٦.

مُطْلَقًا فِي الْعَقْلِيَّاتِ^(١) وَالسَّمْعِيَّاتِ^(٢)، فَإِنَّهُ يُحِيرُ الذَّهْنَ وَيُدْهَشُ الْعَقْلَ، بَلْ يَتَّقَنُ
أَوَّلًا كِتَابًا وَاحِدًا فِي فَنٍّ وَاحِدٍ أَوْ كِتَابًا فِي فَنُونٍ كَمَا مَرَّ إِنْ احْتَمَلَ عَقْلُهُ ذَلِكَ^(٣)،
وَلَا يَتَّقِلُ مِنْ كِتَابٍ حَتَّى يَتَّقَنَهُ^(٤)، وَيَحْذَرُ مِنَ التَّنْقِلِ مِنْ كِتَابٍ إِلَى كِتَابٍ قَبْلَ
إِتْقَانِهِ مِنْ غَيْرٍ مُوجِبٍ فَإِنَّهُ عَلَامَةُ الضَّجَرِ وَعَدَمِ الْفَلَاحِ^(٥)، أَمَا مَنْ تَحَقَّقَتْ
أَهْلِيَّتُهُ وَتَأَكَّدَتْ مَعْرِفَتُهُ فَالْأَوَّلَى لَهُ أَنْ لَا يَدَعَ فَنًا مِنَ الْعُلُومِ الْمَحْمُودَةِ وَلَا نَوْعًا
مِنْ أَنْوَاعِهَا إِلَّا وَيَنْظُرُ فِيهِ يَطْلُعُ بِهِ عَلَى مَقَاصِدِهِ وَغَايَتِهِ، ثُمَّ إِنْ سَاعَدَهُ الْعَمْرُ
طَلَبَ التَّبَحُّرَ فِيهِ، وَإِلَّا اشْتَغَلَ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ^(٦)، فَإِنَّ الْعُلُومَ مُتَقَارِبَةً وَبَعْضُهَا
مُرْتَبِطٌ بِبَعْضٍ، وَالشَّخْصُ يُعَادَى مَا يَجْهَلُهُ وَبَعْضُهُمْ (مِنَ الطَّوِيلِ):

تَفَنَّنْ وَخُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا
يَفُوقُ أَمْرُؤُ فِي كُلِّ فَنٍ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ
بِهِ وَلَعَلِمَ أَنْتَ تَفَقَّهُهُ سِلْمٌ

(١) قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الْمَزْنِيُّ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ أَسْأَلُهُ عَنْ مَسَائِلَ بِلِسَانِ أَهْلِ الْكَلَامِ، قَالَ:
فَجَعَلَ يَسْمَعُ مِنِّي وَيَنْظُرُ إِلَيَّ، ثُمَّ يَجِيبُنِي عَنْهَا بِأَخْصَرِ جَوَابٍ، فَلَمَّا اكْتَفَيْتُ، قَالَ لِي: يَا بَنِي،
أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذَا، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: يَا بَنِي، هَذَا عِلْمٌ إِنْ أَنْتَ أَصَبْتَ فِيهِ لَمْ
تُوجَرْ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ فِيهِ كُفِرْتَ، فَهَلْ لَكَ فِي عِلْمٍ إِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أَجَرْتَ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ لَمْ تَأْتِمَّ،
قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْفَقْهَ، فَلَزِمْتُهُ، وَتَعَلَّمْتُ مِنْهُ الْفَقْهَ، وَدَرَسْتُ عَلَيْهِ.

طبقات الشافعية ١/٢٤١.

(٢) قَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ أَبُو ثَوْرٍ أَوَّلًا يَتَفَقَّهُ بِالرَّأْيِ، وَيَذْهَبُ إِلَى قَوْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، حَتَّى قَدِمَ الشَّافِعِيُّ
بَغْدَادَ، فَاسْتَخْلَفَ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ عَنِ الرَّأْيِ إِلَى الْحَدِيثِ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: هُوَ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِالرَّأْيِ
فِيخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَلَيْسَ مَحَلُّهُ مَحَلُّ الْمَسْمُوعِينَ فِي الْحَدِيثِ، وَأَبُو ثَوْرٍ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدِ الْكَلْبِيِّ
الْبَغْدَادِيُّ الْفَقِيهَ صَاحِبَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَقَدْ كَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الدُّنْيَا فِقْهًا وَعِلْمًا وَفَضْلًا، مَاتَ فِي
بَغْدَادَ شَيْخًا سَنَةَ ٢٤٠ هـ.

طبقات الشافعية ١/٢٢٨.

(٤) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١١٦.

(٣) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١١٦.

(٥) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١١٩.

(٦) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٢٠، وَانْظُرْ طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ ١/٢٤٣.

وللخليل^(١) بن أحمد في أخيه لما تعقب عليه فنّ الشعر (من الكامل):

لو كنتَ تعلم ما أقولُ عذرتني

أو كنتَ أجهلُ ما تقولُ عذلتُكا^(٢)

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني

وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتكا

الناسُ أعداءٌ لما جهلوا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّ قُلُوبَهُمْ هَذَا يَفْئَتُ

قَدِيمٌ﴾ (الاحقاف: ١١) قال الغزالي^(٣): العمر لا يتسع لجميع العلوم، فالحزم أن

يأخذَ من كلِّ علمٍ أحسنه، ويصرف همته وجُلَّ عمره في العلوم النافعة في

الآخرة، وأشرف العلوم وغايتها علم معرفة الله، وهو بحرٌ لا يدرك غوره،

وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الذين يلونهم.

ومنها: أن لا يحملَ نفسه في الاشتغال ما لا طاقة له به مخافة الملل

والسّامة، بل يكون أمره قصداً، وهذا يختلف باختلاف الناس، وكلّ إنسان أبصر

بنفسه^(٤).

(١) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم

العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد ومات في البصرة ١٧٠هـ، إنباه الرواة ٣٤١/١،

والأعلام ٣١٤/٢.

(٢) جامع بيان العلم ٥٧٢/١.

(٣) فاتحة العلوم ١٢٨ - ١٢٩.

(٤) تذكرة السامع ٢٨.

القسم الثاني

آدابه مع شيخه وقدوته. وما يجب عليه من تعظيم حرمة^(١)

فمنها: ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستحير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسبُ حسن الأخلاق والآداب منه وليكن ممن كملت أهليته، وظهرت ديانتَه، وتحققت معرفته وعُرفت عفته، واشتهرت صيانتَه وسيادته، وظهرت مودته وحسن تعليمه، ولا يرغب الطالب فيمن زاد علمه ونقص ورعه أو دينه، فعن السلف: هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم^(٢)، قالوا ولا يأخذ العلم بمن كان أخذه له من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ أو على شيخ حاذق له معرفة تامة ولو بعلم واحد ومشاركة في بعض العلوم خوفاً من التصحيف والغلط، وقال الشافعي: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام^(٣)، وقيل من تفقه من بطون الكتب بدل الأحكام، ومن طب من بطون الكتب قتل الأنام، وليحذر^(٤) من أن يتقيد الطالب بالمشايخ المشهورين، وترك الأخذ عن الخاملين، فقد عدَّ الغزالي^(٥) ذلك من الكبر على العلم، وجعله عين الحماقة لأنَّ الحكمة ضالة المؤمن يَلْتَقِطُهَا حيث^(٦) وجدَها، ويَغْتَنِمُهَا حيث ظَفَرَ بها، ويتقلدُ المنَّةَ ممن ساقها إليه، وربما يكون الخامل له بركة ونفعٌ فيحصل به تمام النفع^(٧).

ومنها: أن ينظر معلمه بعين الاحترام، والإجلال والإكرام، ويعتقد فيه كمال

(١) انظر هذا الباب في تذكرة السامع ٨٥ فما بعد.

(٢) المهيد لابن عبد البر ٤٦/١، وكشف الخفاء ٣٠٢/١، والكفاية في علم الرواية ١٢١.

(٣) تذكرة السامع ٨٧.

(٤) تذكرة السامع ٨٦.

(٥) تذكرة السامع ٨٦.

(٦) تذكرة السامع ٨٦.

(٧) تذكرة السامع ٨٦.

الأهلية فإن ذلك ينفعه^(١)، وكان بعض السلف^(٢) إذا توجه إلى شيخه تصدَّق بشيءٍ وقال: اللهم استر عيب معلّمى عني، ولا تذهب بركة علمه^(٣) مني، وقال الشافعي رحمته: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحاً رفيقاً هيباً له لثلاً يسمع وقعها^(٤)، وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلى هيبته^(٥)، قال حمدان بن الأصبهاني^(٦): كنت عند شريك^(٧) فأتاه بعض أولاد الخليفة المهدي فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه وأقبل علينا، ثم عاد فعاد شريك يمثل ذلك، فقال ابن الخليفة: أتستخف بأولاد الخلفاء؟ قال: لا ولكن العلم أجلُّ عند الله من أن أضيعه^(٨) فجئني على ركبتيه فقال شريك: هكذا يُطلَب العلم^(٩)، روى أن يحيى بن سعيد^(١٠) القطان كان يصلي العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه على بن المديني^(١١)

(١) تذكرة السامع ٨٨

(٢) تذكرة السامع ٨٨

(٣) تذكرة السامع ٨٨

(٤) تذكرة السامع ٨٨

(٥) تذكرة السامع ٨٨

(٦) هو حمدان بن عليّ الأصبهاني.

(٧) هو أبو عبد الله، شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته، كان قاضياً، وكان عادلاً في قضائه، مولده في بخارى، ووفاته بالكوفة سنة ١٧٧هـ، تاريخ بغداد ٢٧٩/٩، والأعلام ١٦٣/٣.

(٨) أدب الإملاء والاستملاء ١٣٣.

(٩) أدب الإملاء والاستملاء ١٣٣، وتذكرة السامع ص ٨٨، وكتاب العلم للنوري ص ١٠٥ والسير ١٨٤/٨.

(١٠) أبو سعيد، يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي: من حفاظ الحديث، ثقة حجة، من أقران مالك وشعبة، من أهل البصرة، كان يفتي بقول أبي حنيفة. قال أحمد بن حنبل: «ما رأيتُ بعيني مثل يحيى القطان» توفي في سنة ١٩٨هـ، تاريخ بغداد ١٣٥/١٤، وتذكرة الحفاظ ٢٧٤/١.

(١١) هو أبو الحسن، علي بن عبد الله بن جعفر، المديني، البصري: محدث مؤرخ، كان حافظ عصره، وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث، له نحو مائتي مصنف، ولد بالبصرة، ومات بامراء سنة ٢٣٤هـ، تذكرة الحفاظ ١٥/٢، وتهذيب التهذيب ٣٤٩/٧.

والشاذكوني^(١)، وعمرو بن^(٢) علي، وأحمد بن حنبل^(٣)، ويحيى بن معين^(٤) وغيرهم يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحد منهم اجلس ولا يجلسون هيئة له وإِعْظَامًا، قلت: وهذا القيام بين يديه لله لا له، وإنما لما خصه الله من العلم وهيئته ومنحته، فلا يدخل في قوله ﷺ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَثَّلَ النَّاسُ لَهُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ^(٥)، لأنه لا يحب ذلك لنفسه وإنما للسرا المودع فيه من العلم، ولتهذيب أخلاق الطلبة وصونهم عن التكبر وتخلقهم بالتواضع^(٦) والله أعلم.

ومنها: أن يعرف للمعلم^(٧) حقه، ولا ينسى له فضله ويتواضع^(٨) له ويذل

(١) هو أبو أيوب، سليمان بن داود بن بشر المنقري البصري، المعروف بالشاذكوني: الحافظ الشهير، قال عنه السيوطي: من أفراد الحفاظ إلا أنه واه، جالس الأئمة والحفاظ ببغداد، ثم خرج إلى أصبهان فسكنها، وانتشر حديثه بها، وكان ذا هيئة حسنة، كما كان يتهم بشرب النبيذ وغير ذلك، وكان يتهم بوضع الحديث، مات بالبصرة سنة ٢٣٤هـ، طبقات الحفاظ ٢٣٦، والسير ٦٧٩/١٠.

(٢) هو أبو حفص، عمرو بن علي بن بحر السقاء الفلاس: باحث من أهل البصرة، سكن بغداد، كان من حفاظ الحديث الثقات، فقي أصحاب الحديث من يفضلونه على ابن المديني، مات في سر من رأى سنة ٢٤٩هـ، تهذيب التهذيب ٨/٨٠، والأعلام ٨٢/٥.

(٣) الإمام الكبير، صاحب المذهب، وصاحب المسند.

(٤) أبو زكريا، يحيى بن معين بن عوف بن زياد البغدادي: من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، نعت الذهبي بسيد الحفاظ، وقال العسقلاني: إمام الجرح والتعديل، وقال ابن حنبل: أعلمنا بالرجال، خلف له أبوه ثروة كبيرة، فأنفقها في طلب الحديث، عاش في بغداد، ومات بالمدينة حاجاً سنة ٢٣٣هـ.

تاريخ بغداد ١٤/١٧٧، وتهذيب التهذيب ١١/٢٨٠.

(٥) رواه أبو داود رقم ٥٢٢٩ في الأدب، والترمذي رقم ٢٧٥٦ في الأدب، ومجمع الزوائد ٨/٤٠، وفيض القدير ٦/٤١، والجامع لأخلاق الراوي ١/٤٠٠.

(٦) تفسير القرطبي ٩/٢٦٦، وفتح الباري ١١/٥٠.

(٧) تذكرة السامع ٩٠، وقد قال قرة بن خالد: كان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا ما دام عكرمة بالبصرة.

(٨) تذكرة السامع ٩٠.

ويعلم أن ذله لشيخه عزٌّ، وخضوعه له فخر. وعظيم حرمة مشيئة، والتشهير في خدمته شرف، قال عليه السلام: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وتعلموا للعلم السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ وَتَوَضَّعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ^(١)، وأخذ ابن عباس رضي الله عنه مع جلالته ومزيته بركاب زيد بن ثابت^(٢) رضي الله عنه وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا^(٣)، ويقال: إن الشافعي رحمه الله عوتب على تواضعه للعلماء فقال (من الطويل):

أُهِنُّ لَهُمْ نَفْسِي فَهُمْ يَكْرُمُونَهَا

ولن تُكْرَمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهِنُّهَا^(٤)

ومنها: أن لا يُنكَرَ عليه، ولا يتأمر عليه ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب منه، (من الطويل):

وإن عناءً أن تعلم جاهلاً

فيزعم جهلاً أنه منك أفهم^(٥)

بل ينقاد إليه في أموره كلها، ويلقى إليه زمام أمره، ويذعن لتصححه، ويتحرى رضاه، ولا يختار إلا اختياره، ويأتمر بأمره، ولا يخرج عن رأيه، وليدع رأيه فخطأ مُرشده أنفع له من صوابه في نفسه، وفي قصة موسى والخضر تنبيه على ذلك^(٦)، وبالجمله فيكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر الناصح، بل هذا أولى لتفاوت ثمرتيهما والله أعلم.

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/١٢٥.

(٢) هو أبو خارجه، زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي: صحابي، من أكابرهم، كان كاتب الوحي، ولد في المدينة، ونشأ في مكة، توفي في سنة ٤٥هـ، ولما مات قال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة، الإصابة ترجمة رقم ٢٨٨٠.

(٣) تذكرة السامع ٨٧، والمستدرک ٣/٤٢٣، والإصابة، وصفة الصفوة ١/٢٩٥ وبقية الخبر: «فاخذ زيد كفه وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا...».

(٤) البيت في ديوانه ص ٨٩، وانظره في آداب الشافعي ومناقبه ١٢٧، والجامع لآخلاق الراوي ٥٥٢/١، وحلية الأولياء ٩/١٤٨.

(٥) البيت لصالح بن عبد القدوس. وانظر جامع بيان العلم ١/٤٤٧.

(٦) سورة الكهف، الآية ٦٩، وانظر أيضاً تذكرة السامع ٨٨.

ومنها: أَنْ يُبَجِّلَهُ فِي خُطَابِهِ فِي غَيْبَتِهِ وَحُضُورِهِ، وَلَا يُخَاطِبُهُ بِتَاءِ الْخُطَابِ وَكَافِهِ، وَلَا يُنَادِيهِ مِنْ بَعْدِ، بَلْ يَقُولُ: يَا سَيِّدِي^(١) وَيَا أَسْتَاذِي أَوْ يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ أَوْ الْحَافِظُ وَيُخَاطِبُهُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ نَحْوَ مَا تَقُولُونَ فِي كَذَا، وَمَا رَأَيْكُمْ فِي كَذَا، وَقَلْتُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ، وَأَجَزْتُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ، وَلَا يُسَمِّيهِ فِي غَيْبَتِهِ بِاسْمِهِ إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُشْعُرُ بِالتَّعْظِيمِ كَقَوْلِهِ: قَالَ الشَّيْخُ أَوْ شَيْخُنَا أَوْ سَيِّدُنَا أَوْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَوْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ وَنَحْوَ ذَلِكَ^(٢)، فَمِرَاعَاةُ حُرْمَتِهِ وَهَدْيِهِ فِي غَيْبَتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ فَلَا يَغْفُلُ عَنِ الدُّعَاءِ لَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، وَيُرِدُّ غَيْبَتَهُ وَيَغْضِبُ لَهَا، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ قَامَ وَفَارَقَ الْمَجْلِسَ^(٣) الَّذِي يُغْتَابُ فِيهِ شَيْخُهُ، وَيُرَاعَى ذُرِّيَّتُهُ وَأَقَارِبُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَيَتَعَاهَدُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ وَالتَّرَحُّمَ عَلَيْهِ وَالصَّدَقَةَ عَنْهُ، وَيَسْلُكُ مَسْلَكَه، وَيُرَاعَى فِي الدِّينِ عَادَتَهُ، وَيَقْتَدِي بِحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ فِي عِبَادَاتِهِ وَعَادَاتِهِ، وَيَتَأَدَّبُ بِآدَابِهِ^(٤)، وَيَشْكُرُ الشَّيْخَ إِذَا نَصَحَهُ فِي أَمْرِ تَقْيِصَةٍ صَدَرَتْ مِنْهُ، وَعَلَى فَضِيلَةٍ نَبَهَ عَلَيْهَا وَشَوَّهَدَتْ مِنْهُ، وَيَعْدُ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الشَّيْخِ بِاعْتِنَاءِ الشَّيْخِ بِهِ وَنَظَرِهِ إِلَيْهِ.

ومنها: أَنْ يَصْبِرَ عَلَى هَفْوَةٍ تَصْدُرُ مِنْ شَيْخِهِ أَوْ جَفْوَةٍ أَوْ سُوءِ خُلُقٍ، وَلَا يَصْدُهُ ذَلِكَ عَنْ مُلَازِمَتِهِ وَحُسْنِ عَقِيدَتِهِ وَاعْتِقَادِ كِمَالِهِ، وَيَتَأَوَّلُ أَفْعَالَهُ الَّتِي ظَاهَرَهَا مَذْمُومٌ عَلَى أَحْسَنِ تَأْوِيلٍ، فَمَا يَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلُ التَّوْفِيقِ، وَيَبْدَأُ هُوَ عِنْدَ جَفْوَةِ الشَّيْخِ بِالِاعْتِذَارِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ^(٥)، وَيَنْسِبُ الْمَوْجِبَ إِلَيْهِ، وَيُوقِعُ الْعُتْبَ عَلَيْهِ، فَإِنْ ذَلِكَ أَبْقَى لِمَوَدَّةِ شَيْخِهِ، وَأَحْفَظَ لِقَلْبِهِ، وَأَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٦)، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَِ التَّعْلِيمِ أَلْ أَمْرِهِ إِلَى عِزِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ

(٢) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ٨٩.

(١) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ٨٩.

(٣) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ٩٠.

(٤) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ٩٠.

(٦) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ٩١.

(٥) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ٩١.

يصبر بقى عمره في غاية الجهالة^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنه: ذلت طالباً فعزرت مطلوباً^(٢) ول بعضهم (من الكامل):

فاصبر لدأئك إن أهنتَ طبيبه
واصبر لجهلك إن جفوتَ معلماً^(٣)
إن المعلم والطبيب كلاهما
لا ينصحان إذا هما لم يُكرَما

قال الشافعي رضي الله عنه: قيل لحنفيان بن عيينة: إن قومًا يأتونك من أقطار الأرض تغضبُ عليهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك فقال للقاتل: هم حمقاء إذا إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي^(٤).

ومنها: أن لا يدخل^(٥) على الشيخ في غير المجلس العام بغير إذنه سواء كان الشيخ وحده أو معه غيره، فإن استأذن ولم يأذن له انصرف، ولا يكرر الاستئذان، فإن لم يعلم الشيخ يكرر ثلاثاً أو ثلاث طرقات للباب، وليكن طرق الباب خفيفاً بقدر ما يسمع، وإن أذن وكانوا جماعة تقدم أفضلهم وأسنهم للدخول ثم يسلم الأفضل فالأفضل.

ومنها: أن يجتهد على أن يسبق في الحضور إلى المجلس قبل حضور الشيخ ويحمل نفسه على ذلك وإن انتظره على باب داره ليخرج ويمشي معه إلى المجلس فهو أولى، ولا يتأخر بحيث يجعل الشيخ في انتظاره، فإن فعل ذلك من غير ضرورة عرّض نفسه للذم، وإذا دخل^(٦) على الشيخ فليدخل كامل الهيئة

(١) تذكرة السامع ٩١.

(٢) تذكرة السامع ٩١.

(٣) تذكرة السامع ٩١، والتمثيل والمحاضرة ١٦٤. ومحاضرات الأدباء ٥٣/١.

(٤) تذكرة السامع ٩١ - ٩٢.

(٥) تذكرة السامع ٩٣ - ٩٤.

(٦) تذكرة السامع ٩٥.

فارغ القلب من الشواغل، مُشرح الصدر، صافى الذهن لا فى حال نُعاس أو غضب أو جوع أو عطش، متطهرًا نظيفًا متسوكًا مُزيلاً روائحه الكريهة، ولا يقرأ علىَ الشيخ عند شغل قلبه وملله ونُعاسه وجوعه وعطشه واستيفازه وألمه وقائلته ونحو ذلك مما يمنعه من استيفاء الشرح، ومتى^(١) دخل علىَ الشيخ فى غير المجلس العام وعنده من يتحدث معه فسكتوا عن الحديث، أو دخل الشيخ ليصلى أو يقرأ أو يطالع أو يكتب ولم يبدأه بكلام فليسلم ويخرج سريعاً إلا أن يأمره الشيخ بالمكث^(٢)، فإذا مكث فلا يُطيل المكث خشية أن يدخل فى عموم من شغل مشغولاً بالله أدركه المقت فى الوقت، وإذا حضر مكان الشيخ فلم يجده انتظره ولا يفوت على نفسه درسه، وإن كان نائماً صبر حتى يستيقظ^(٣)، وروى أن ابن عباس رضي الله عنه كان يجلس فى طلب العلم علىَ باب زيد ابن ثابت وهو نائم فيقال له: ألا نوقظه لك؟ فيقول: لا^(٤)، وكذلك كان السلف يفعلون^(٥).

ومنها: أن لا يطلب^(٦) من الشيخ وقتاً يقرأ فيه وهو عليه مشق، أو لم تجر عاداته بالإقراء فيه وإن كان رئيساً، لما فيه من الترفع والحمق علىَ الشيخ والطلبة، وربما استحى الشيخ منه وأقرأه وعطل غيره بسببه فلا يُفلح، فإن أشار الشيخ عليه بوقت خاص فلا بأس^(٧)، وأن يجلس بين يديه^(٨) متأدباً بسكون وإطراق رأس وخضوع وتواضع وخشوع وجلسوس الافتراش أو التورك، ويحسن هنا الإقضاء المستحب علىَ وجه فى الجلوس بين السجدين فى الصلاة، وهو أن يفترش قدميه ويجلس علىَ بطونهما، ويتعاهد تغطية أقدامه وإرخاء ثيابه^(٩)،

(٢) تذكرة السامع ٩٥.

(٤) تذكرة السامع ٩٦.

(٦) تذكرة السامع ٩٦.

(٨) تذكرة السامع ٩٧.

(١) تذكرة السامع ٩٥.

(٣) تذكرة السامع ٩٦.

(٥) تذكرة السامع ٩٦.

(٧) تذكرة السامع ٩٧.

(٩) تذكرة السامع ٩٩.

ولا يستند^(١) بحضرة الشيخ إلى جائط أو مخدة، ولا يعطى الشيخ جنبه ولا ظهره، ولا يجعل يديه ماسكة وراء ظهره، ولا يضع رجله أو يده أو شيئاً من بدنه أو ثيابه على ثياب الشيخ أو وسادته أو سجادته، قال بعضهم: ومن تعظيم الشيخ أن لا يجلس إلى جانبه ولا على مصلاه، وإن أمره شيخه بذلك فلا يفعله إلا إذا جزم عليه جزمًا تشقّ عليه مخالفتُهُ، فيمثل أمره ثم يعود إلى ما يقتضيه الأدب^(٢)، هذا وقد تكلم الناس في أى الأمرين أولى: امتثال الأمر، أو سلوك الأدب^(٣)، وكان مذهب أبى بكر وعلى عليه السلام الثانى، ومذهب عبد الرحمن^(٤) بن عوف ومعاذ بن جبل عليه السلام الأول، وقصصهم مشهورة، قال شيخ الإسلام البدر ابن جماعة^(٥): والذي يترجح التفصيل، فكل على قدر مقامه، فأبو بكر وعلى مقامهما المراجعة فى الأمر، وعبد الرحمن ومعاذ بن جبل مقامهما امتثال الأمر لا المراجعة، وأيضاً صاحب الأدب جبره حاصل، وصاحب امتثال الأمر قد يقصد جبره وإظهار احترامه والاعتناء به.

ومنها: أن يلقى السمع وهو شهيد لما يلقى الشيخ، بحيث لا يُحوّجه إلى إعادة الكلام^(٦)، ولا يلتفت عنه يميناً ولا شمالاً وفوقاً وتحتاً وأماماً ووراء من غير ضرورة، ولا يضطرب لصيحة يسمعها، ولا يتكلم بيديه إلى وجه الشيخ وصدره ولا يعبث بهما، ولا يضع يده على لحيته أو فمه، أو يعبث بها فى أنفه، ولا يشبك أصابعه، ولا يكثر التنحنح من غير حاجة، ولا يبصق ولا يمتخط ولا

(١) تذكرة السامع ٩٨.

(٢) تذكرة السامع ١٠٠.

(٣) تذكرة السامع ١٠٠.

(٤) هو أبو محمد، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهرى القرشى: صحابى، من أكابرهم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من الأجواد العقلاء، وأحد السابقين إلى الإسلام، توفى فى المدينة سنة ٣٢هـ، الإصابة ترجمة رقم ٥١٧١.

(٥) تذكرة السامع ١٠٠.

(٦) تذكرة السامع ٩٧.

يَنْخَع ما أمكنه، وإذا كان كذلك فليأخذها بمنديل ونحوه من فمه، ولا يتجشأ ولا يتمطى، ولا يكثر الثأؤب، وإذا ثأب ستر فاه بعد رده جهده، وإذا عطس خفض صوته جهده وستر وجهه بمنديل ونحوه، ويكون ساكناً مطمئناً وقوراً وقرّاً وذلك لا يخفى على من له أدنى أدب طيعي.

ومن تمامات ما نحن فيه: أنه لا يسارر في مجلس شيخه ولو في مسألة، ولا يغمز أحداً، ولا يكثر كلامه بغير ضرورة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما يتضمن سوء أدب، ولا يتكلم بما لم يسأله شيخه عنه، ولا يسأل شيخه ما لم يستأذنه أولاً، ولا يضحك من غير عجب دون الشيخ، فإن غلب الضحك تبسم بغير صوت، ولا يغتب أحداً في مجلسه، أو ينم له عن أحد، أو يوقع بينه وبين أحد بنقل ما يسوؤه كاستقصاء به وتكلم فيه، أو يقول له فلان يؤدّ أن لو أقرأ عليه كالحادث له في أمره، وتركت ذلك لأجلك، ففاعل ذلك مع كونه ارتكب مكروهاً أو حراماً أو كبيرةً مستحق للزجر والإهانة، والطرود والإبانة، وقد جاء عن علي رضي الله عنه: إن من حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تعتته في الجواب، ولا تلحّ عليه إذا أعرض، ولا تأخذ بثوبه إذا كسل، ولا تشيرن إليه بيدك، ولا تغمز به عينك ولا تغمز بعينك غيره، ولا تسارّ في مجلسه، ولا تطلب زكته، وإن زل فاقبل معذرتة، وأن لا تقول: قال فلان خلاف قولك، وأن تحفظه شاهداً وغائباً، وأن تعمّ القوم بالسلام، وأن تخصّه بالتحية، وأن تجلس بين يديه، وعليك أن توقره لله تعالى، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، وأن لا تمل من طول صحبته، وإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة^(١).

ومنها: أن يحسن خطابه مع الشيخ ما أمكنه^(٢)، ولا يقول له: لم؟ ولا

(١) جامع بيان العلم وفضله ٩٥، وتذكرة السامع ١٠٠.

(٢) تذكرة السامع ١٠٢.

نُسَلِّم، ولا مَنْ نَقَلَ هذا؟ ولا أين موضعه؟ ولا يقل المحفوظ والمنقول غير هذا وشبه ذلك، فإن أراد استفادة أصله أو مَنْ نقله، فيراجع بلطف في مجلس آخر بحسن الأدب ولطف العبارة، وإذا أصرَّ الشيخ على قول أو دليل ولم يظهر له، أو أصرَّ الشيخ على خلاف الصواب سهوًا، فلا يُغَيِّر وجهه أو عينيه أو يشير إلى غيره كالمنكر لما قاله، بل يأخذه ببشرٍ ظاهر وإن لم يكن الشيخ مُصَيِّبًا لغفلة أو سهو أو قصورٍ نظري في تلك الحال، فإن العِصمة في البشر للأنبيا عليهم السلام^(١)، وليحذر من مُفاجأة الشيخ^(٢) بصورة ردِّ عليه مثل أن يقول له: أنت قلتَ فيقول: ما قلت، فحاصله إذا فاجأه أو أراد أن يردَّ عليه فليكن بالطف عبارة ولو في غير ذلك المجلس كأن يقول: هل تلمَّحتم جوابًا عن ذلك الإشكال أو على ذلك التعقُّب؟ وإذا سبق لسان الشيخ إلى تحريف كلمة أن لا يضحك ولا يستهزئ ولا يعيدها كأنه يتنادر بها عليه، ولا يغمز غيره ولا يشير إليه بل ولا يتأمل ما صدر منه ولا يدخله قلبه. ولا يصغى إليه بسمعه، ولا يحكيه لأحد، فإن اللسان سباق والإنسان غير معصوم، وفاعل شيء مما ذكر مع شيخه مُعرِّض نفسه للحرمان، والبلاء والخسران، مستحقٌّ للزجر والتأديب، والهجر والتأنيب والله أعلم.

ومنها^(٣): أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة أو جواب سؤالٍ منه أو من غيره، لا سيما إذا كان من غيره وتوقف الشيخ، ولا يساوقه فيه، ولا يظهر معرفة به أو إدراكه له قبل الشيخ، إلا أن يعلم من الشيخ إشاراً ذلك منه، أو عرض الشيخ عليه ذلك ابتداءً والتمسه منه فلا بأس به حينئذ، ولا يقطع على الشيخ كلامه ولا يسابقه، وإذا سمع الشيخ يذكر حكمًا في مسألة أو فائدة

(١) تذكرة السامع ١٠١ - ١٠٢.

(٢) تذكرة السامع ١٠٢.

(٣) تذكرة السامع ١٠٦ - ١٠٧.

مُستغربة أو يحكى حكايةً أو يُنشد شعراً وهو يحفظ ذلك أن يُصغى إليه إصغاءً مستفيدٍ متعطشٍ إليه فرح به كأنه لم يسمعه^(١) قطّ قال عطاء^(٢): إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسى أنى لا أحسن منه شيئاً^(٣) وعنه قال: إن الشابَّ لَيَتحدَّث بحديث فأستمع له كأنى لم أسمعه، ولقد سمعته قبل أن يولد^(٤)، فإن^(٥) سأله الشيخ عند الشروع فى ذلك عن حفظه للحديث أو للمسألة فلا يجيب بلا لما فيه من الكذب، ولا يجيب بنعم لما فيه من الاستغناء عن الشيخ، بل يقول: أحبُّ أن أستفيذه، أو عهدى به بعيد، فإن علم من حال الشيخ أنه يسره ألا يراد امتحاناً لضبطه وحفظه وتحصيله فلا بأس بذلك^(٦) ولا ينبغي^(٧) أن يكرر ما يعلمه، ولا استفهام ما يفهمه، فإنه يُضَيِّع الزَّمان، وربما أضجرَّ الشيخَ قال الزُّهرى^(٨): إعادة الحديث أشدَّ من نقل الصخر^(٩) ولا ينبغي أن يُقصرَ فى الإصغاء والتفهم، أو يشغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيدُ الشيخَ ما قاله لأن ذلك إساءةٌ أدب، بل يكون مصغياً لكلامه حاضر الذهن لما يسمعه من أوَّل مرة، وكان بعض المشايخ لا يعيد لمثل هذا إذا استعاده، ويُزبره عقوبةً له، أما إذا لم يسمع كلامَ الشيخ لبعده أو لم يفهمه

(١) تذكرة السامع ١٠٤ - ١٠٥

ويحكى أن جالينوس كان يقرر يوماً فى مسألة مشكلة والطلبة به محدقون، فقال لهم: فہمتم، قالوا: نعم، قال: لا، لو فہمتم لظهر السرور على وجوهكم.

(٢) هو ابن أبى رباح، عطاء بن أسلم بن صفوان: تابعى، من أجلاء الفقهاء كان عبداً أسود، ولد فى جند باليمن، ونشأ بمكة فكان مفتى أهلها ومحدثهم، قال أبو حنيفة: ما رأيت أحداً أفضل من عطاء توفى فى مكة سنة ١١٤هـ، تذكرة الحفاظ ٩٢/١، وتهذيب التهذيب ١٩٩/٧، ونكت الهميان ١٩٩.

(٤) تذكرة السامع ١٠٥.

(٣) تذكرة السامع ١٠٥.

(٦) تذكرة السامع ١٠٦.

(٥) تذكرة السامع ١٠٥.

(٧) هو ابن شهاب الزهرى، محمد بن مسلم بن عبد الله، أبو بكر، وهو من أعلم الحفاظ.

(٨) انظر قوله فى تذكرة السامع ١٠٦.

مع الإصغاء إليه والإقبال عليه فله أن يسأل الشيخ إعادته أو تفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف^(١).

ومنها: أن لا يسأل عن شيء^(٢) في غير موضعه ففاعل ذلك لا يستحق جواباً، إلا أن يعلم من حال الشيخ أنه لا يكره ذلك، ويغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه، وتلطف في سؤاله ليحسن في جوابه، قال عليه السلام: **الْاِقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ**^(٣).

ومنها: أن لا يستحي^(٤) من السؤال عما أشكل عليه، بلى يستوضحه أكمل استيضاح. فمن رق وجهه رق علمه، ومن رق وجهه عنده السؤال، ظهر نقصه عند اجتماع الرجال، وقال ابن شهاب: العلم خزانة ومفتاحه المسألة^(٥)، وإذا قال له الشيخ: أفهمت؟ فلا يقل نعم قبل أن يتضح له المقصود من المسألة إيضاحاً جلياً لئلا يكذب ولا يستحي من قوله لم أفهم^(٦)، لأن استنباطه يحصل له مصلح عاجلة وآجلة^(٧). فمن العاجلة: حفظ المسألة وصلامته من الكذب وإظهار فهم ما لم يكن فهمه، واعتقاد الشيخ اعتناؤه بالعلم ورغبته وكمال عقله وورعه ونصحه لنفسه، ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائماً، وعن التخليل ابن أحمد: منزلة الجهل بين الصياء والافتة^(٨).

ومنها: أن يكون ذهنه حاضراً مع الشيخ^(٩)، فإن أمره بشيء بلادر إليه ولم يعاوده فيه، وإذا ناوله شيئاً تناوله التلميذ باليسر، وإذا تناوله هو شيئاً تناوله

(١) تذكرة السامع ١٠٦.

(٢) تذكرة السامع ١٥٢.

(٣) المعجم الأوسط ٥٦/٧ و ٥٧، وشعب الإيمان ٢٥٤/٥، ونهج القلوب ١٨١/٣، وتهذيب

الكامل ٢٢٠/٢٩، كشف الغطاء ١٧٩/١، مجمع الزوائد ١/١٦، صفوة الصفوة ٢١٢/١.

(٤) تذكرة السامع ١٥٦.

(٥) من القلوب ٤٥٨/١، حديث رقم ٥٦٦.

(٦) تذكرة السامع ١٥٧.

(٧) تذكرة السامع ١٥٧.

(٨) تذكرة السامع ١٥٧.

(٩) تذكرة السامع ١٠٨ - ١٠٩.

باليمين، وإذا ناول هو شيخه شيئاً ناوله باليمين، وإن كان ورقةً كَفْتِيَا أو قصة مثلاً نشرها ثم دفعها إليه، ولا يدفعها مطوية إلا إذا علم أو ظن إشار الشيخ لذلك. وإذا أخذ من الشيخ ورقة بادر إلى أخذها منشورة قبل أن يطويها ويتربها ثم يطويها. وإذا ناول الشيخ كتاباً ناوله إياه مهيأً لفتح من غير احتياج إلى إدارة. وكذا إن كانت مطالعته في موضع معين يهيئه له ولو بالتقريب، ولا يحذف إليه الشيء، ولا يعدّ يده إلى حاجة إذا كان بعيداً عنها كأن يتكئ لجنبه ليأخذ ذلك الشيء، بل يقوم إليه ولا يزحف زحفاً، وإذا وضع بين يديه دواة فليضعها مفتوحة، وإذا ناوله سكيناً^(١) فلا يصوب إليه رأس نصلها ولا نصابها، بل يناوله إياها عرضاً لأنه إن ناوله نصلها فقلة أدب من حيث أنه أشار إليه بنصل السكين، وإن ناوله نصابها يخشى على يد المناول من انفتال الحد إلى أصبعه، فالأولى العرض، وليكن الحد في العرض إلى جهته قابضاً على طرف النصاب، مما يلي النصل ليأخذ هو بأول النصاب وإن ناوله سجادة^(٢) ليصلي عليها نشرها أولاً، والأدب أن يفرشها عند قصد ذلك، قال ابن جماعة: وإذا فرشنا ثنى مؤخر طرفها الأيسر كمادة الصوفية^(٣)، فإن كانت مثنية جعل طرفها إلى يمار المصلي، وإن كان فيها صورة محراب تحرى به القبلة إن أمكن^(٤)، ولا يجلس بحضرة الشيخ على سجادة، ولا يصلي عليها إذا كان المكان طاهر^(٥)، وإذا قلم بادر القوم إلى أخذ السجادة وإلى الأخذ بيده أو عضده إن احتاج^(٦)، وإلى تسليم يده إن لم يشق ذلك على الشيخ ويقصد بذلك كله

(١) تذكر الطبع ١٠٩.

(٢) تذكر الطبع ١٠٩.

(٣) تذكر الطبع ١٠٩.

(٤) تذكر الطبع ١٠٩.

(٥) تذكر الطبع ١٠٩.

(٦) تذكر الطبع ١٠٩.

التقربَ إلى الله تعالى وإلى قلب الشيخ^(١) وقيل أربعة لا يَأْنَفُ الشريف منهم وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم الذي يتعلم منه، والسؤال عما لا يعلم، وخدمته للضيف^(٢).

ومنها: أن يقوم بقيام الشيخ ولا يجلس وهو قائم، ولا يضطجع وهو قائم أو قاعد، بل ولا يضطجع بحضرته مطلقاً إلا أن يكون وقت نوم ويأذن له، ويقوم له كلما ورد عليه ولو تكرر لزيادة التوقير والإعظام والاحترام، وقد تقدم أن شيخ الإسلام النووي ألف كتاباً في مسألة القيام^(٣).

ومنها: إذا مشى مع شيخه ليلاً فليكن أمامه^(٤)، أو نهاراً فليكن وراءه إلا أن يقتضى الحال خلاف ذلك لزحمة أو غيرها^(٥)، وليتبع في ذلك عادة أهل البلد فمتى خالف نسب لقلة الأدب، ومما يُنسب لشيخ الإسلام البرهان^(٦) بن جماعة ما لفظه: فائدة من عادة الفقهاء المشي خلف الشيخ، ومن عادة الفقهاء المشي بين يدي الشيخ، وقد ورد في الحديث أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يمشون بين يديه ولا يدع أحداً يمشي خلفه ويقول: دَعُوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ^(٧).

قلت: ولهذا ترى الدولة يكون رئيسهم وكبيرهم وراء القوم، وهذا أصله. ومن فعل عكس ذلك من الأكابر فمراده أن لا يتشبه بمن هو أكبر منه ولكن

(١) تذكرة السامع ١٠٩ - ١١٠.

(٢) تذكرة السامع ١١٠.

(٣) انظر ما سبق ١٢٤ الحاشية الثامنة.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ١١٠.

(٥) خرج القاضي ابن سريج، وابن داود الظاهري، ونفطويه إلى وليمة دعوا لها، فافضى بهم الطريق إلى مكان ضيق، فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه، فقال: ابن سريج: ضيق الطريق يورث سوء الأدب، وقال ابن داود: لكنه يعرف مقادير الرجال، فقال نفطويه: إذا استحسنت المودة بطلت التكليف.

(٦) هو صاحب كتاب تذكرة السامع والمتكلم، ولم نجد هذا القول في كتابه.

(٧) مجمع الزوائد ٤/ ١٣٦، ومسند أحمد ٣/ ٣٩٧، وحلية الأولياء ٧/ ١١٧، وسنن الدارمي ١/ ٣٧، والبيان والتعريف ١/ ١٧٠، ومصباح الزجاجة ١/ ٣٦، وشرح سنن ابن ماجه ١/ ٢٢.

تقوته السُّنة، ولا يخفى الفرق بين صدر الصَّحابة ورئيسهم، ولا بين من تأخَّر عنهم خصوصاً في زماننا، لأن الصَّحابة ورئيسهم ﷺ كان كأحدهم لا يتميز من بينهم بزيادة ثوب فاخر ولا فرس مسومة، ولا تقدَّم القوم عليه بمسافة ليمشى وحده مما يُفعل في زماننا من ذلك من تقدَّم الفرسان ثم المشاة ثم السعادة، ثم الانفراد، وهذا عين الجبروت، فأصله سُنَّة ولكن اقلب ذلك إلى طريق البدعة، اللهم إلا أن يقصد بذلك رهبة العصاة والطغاة والغادرين فلا بأس وهو أعلم بالنيات، والمطلع على الطَّويات.

ويتعين تقدم التلميذ على الشيخ ليلاً ونهاراً في المواضع المجهولة^(١) الحال كالوحد والوجل والحوض والمواضع الخطرة، ولا يمشى^(٢) إلى جانبه إلاَّ لحاجة أو إشارة منه، ويعرفه بمن يقصده وهو ماشٍ من الأعيان إن لم يعلم به، ويؤثره بجهة الظلِّ في مشيه في الصيف، وفي الشتاء بجهة الشمس، ولا يمشى بين الشيخ^(٣) وبين من يُحدثه الشيخ، ويتأخَّر عنهما أو يتقدَّم ولا يسمع، فإن أدخله في حديثهما فليدخل من الجانب الآخر عن يمينه أو يساره ليكون الشيخ وسطاً، وإذا مشى مع الشيخ اثنان فليكن الأسن عن يمينه، وإذا صادف الشيخ في الطريق بدأه بالسَّلام، ويقصده إن كان بعيداً ولا يُناديه، وإذا رافقه لا يُشير ابتداءً بالأخذ في طريق حتى يستشير^(٤)، والله أعلم.

(١) تذكرة السامع ١١٠.

(٢) تذكرة السامع ١١١.

(٣) عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ، قال: لا يحلّ لرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما، الأدب المفرد ١٦٥.

(٤) تذكرة السامع ١١١ - ١١٢.

القسم الثالث

في آداب درسه وقراءته وما يعتمد به مع شيخه ورفقته^(١) حينئذ

فمنها: أَنْ يَتَدَيَّ أَوَّلًا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ حِفْظًا^(٢) مُتَقَنًا فَهُوَ أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَهْمُهَا، وَكَانَ السَّلَفُ لَا يَعْلَمُونَ الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ إِلَّا لِمَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ، وَإِذَا حَفِظَهُ فَلْيَحْذَرِ مِنَ الْإِشْتَغَالِ عَنْ بَغْيَرِهِ مِنَ الْعُلُومِ كَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ اشْتَغَالًا يُوْدِي إِلَى نِسْيَانِ شَيْءٍ مِنْهُ أَوْ تَغْرِيزِهِ لِلنَّسْيَانِ، بَلْ يَتَعَهَّدُ دِرَاسَتَهُ وَمُلَازِمَةَ وَرْدِهِ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ أَوْ أَيَّامٍ أَوْ جُمُعَةٍ دَائِمًا أَبَدًا كَمَا تَقَدَّمَ^(٣)، قَالَ ابْنُ جُمَاعَةَ^(٤): وَيَجْتَهِدُ بَعْدَ حِفْظِهِ عَلَى إِتْقَانِ تَفْسِيرِهِ وَسَائِرِ عُلُومِهِ^(٥). انْتَهَى.

ثُمَّ يَحْفَظُ فِي كُلِّ فَنٍّ مُخْتَصِرًا^(٦) يَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَيَقْدِمُ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمُّ، وَمِنْ أَهْمِهَا الْفِقْهُ وَالنَّحْوُ وَالتَّصْرِيفُ، ثُمَّ الْحَدِيثُ وَعِلْمُهُ وَالْأُصُولُ ثُمَّ الْبَاقِي عَلَى مَا تيسر، ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِإِسْتِشْرَاحِ مَحْفُوظَاتِهِ عَلَى الْمَشَايخِ^(٧)، وَلْيَحْذَرِ مِنَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْكُتُبِ ابْتِدَاءً، بَلْ يَعْتَمِدُ مِنَ الشُّيُوخِ فِي كُلِّ فَنٍّ أَكْثَرَهُمْ تَحْقِيقًا فِيهِ وَتَحْصِيلًا مِنْهُ وَأَحْسَنَهُمْ^(٨) تَعْلِيمًا، فَإِنْ أَمَكَّنَ شَرْحَ دُرُوسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَعَلَّ وَإِلَّا اقْتَصَرَ عَلَى الْمُمْكِنِ مِنْ دَرَسِينَ وَثَلَاثَةٍ، وَإِذَا اعْتَمَدَ شَيْخًا وَكَانَ لَا يَتَأَذَى بِقِرَاءَةِ ذَلِكَ الْفَنِّ عَلَى غَيْرِهِ فَلْيَقْرَأْ عَلَى ثَانٍ وَأَكْثَرَ مَا لَمْ يَتَأَذَّوْا،

(١) انظر هذا القسم، وهو الفصل الثالث من تذكرة السامع ١١٢، فما بعد.

(٢) تذكرة السامع ١١٢، ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة، تذكرة الحفاظ ١٠٤/١. وقال ابن أبي حاتم: لم يدعى أبى أطلب الحديث حتى قرأت القرآن على ابن شاذان، وكان ابن أبي حاتم بحرًا في العلوم، ومعرفة الرجال، وقد توفي سنة ٣٢٧هـ، تذكرة الحفاظ ٤٢٨/٣. وقال ابن خلكان: ولما بلغ الرئيس الحكيم أبو علي ابن سينا عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز.

(٤) تذكرة السامع ١١٣.

(٣) تذكرة السامع ١١٣.

(٦) تذكرة السامع ١١٣.

(٥) تذكرة السامع ١١٣.

(٨) تذكرة السامع ١١٣ - ١١٤.

(٧) تذكرة السامع ١١٣.

فَإِنْ تَأَذَّى الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ اقْتَصَرَ الطَّالِبُ عَلَيْهِ وَرَاعَى قَلْبَهُ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى انْتِفَاءٍ وَلَا يَقْرَأُ فِي كِتَابٍ لَا يَحْتَمِلُهَا عَقْلُهُ وَلَا تَصَوُّرُهُ، وَالْمُطَالَعَةُ فِي التَّصَانِيفِ الْمُتَفَرِّقَةِ يَضِيعُ الزَّمَانُ وَيُفَرِّقُ الذَّهْنَ، بَلْ يُعْطَى الْكِتَابُ الَّذِي يَقْرَأُ وَالْفَنُّ الَّذِي يَأْخُذُهُ كُلِّيَّتُهُ حَتَّى يَتَقَنَّهُ (١).

ومنها: أَنْ يَعْتَنِيَ بِتَصْحِيحِ دَرَسِهِ الَّذِي يَتَحَفَظُهُ قَبْلَ حِفْظِهِ تَصْحِيحًا مُتَقَنًّا (٢) عَلَى شَيْخِهِ أَوْ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَكُونُ أَهْلًا لِذَلِكَ، ثُمَّ يَكْرُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ حِفْظِهِ تَكَرُّرًا جَيِّدًا، ثُمَّ يَعْينُ لَهُ أَوْقَاتًا لِلْمَوَاضِي لِيَرْسُخَ رِسْوَخًا تَامًا، وَلَا يَحْفَظُ ابْتِدَاءً مِنَ الْكُتُبِ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَقَعُ فِي التَّحْرِيفِ وَالتَّصْحِيفِ، وَيُحْضِرُ مَعَهُ الدُّوَاءَ وَالسَّكِينِ لِلتَّصْحِيحِ، وَيَضْبُطُ ذَلِكَ لُغَةً وَإِعْرَابًا، وَإِذَا رَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ لَفْظَةً وَظَنَ أَوْ عَلِمَ أَنَّ رَدَّهُ خِلَافُ الصَّوَابِ رَاجِعُهُ بِرَفْقٍ لِاحْتِمَالِ سَهْوِهِ، أَوْ فِي مَجْلَسٍ آخَرَ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الصَّوَابُ مَعَ الشَّيْخِ، وَهَذَا لَا يَفُوتُ عَلَى التَّلْمِيزِ بِخِلَافِ مَا يَفُوتُ كَأَن يَكْتُبَ الشَّيْخُ عَلَى رَقْعَةٍ فَتَوَى عَلَى خِلَافِ الصَّوَابِ، وَكَوْنِ السَّائِلِ غَرِيبًا أَوْ بَعِيدَ الدَّارِ أَوْ مُشْتَعًا تَعَيَّنَ تَنْبِيهِ الشَّيْخِ فِي الْحَالِ بِإِشَارَةٍ أَوْ تَصْرِيحٍ، فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ خِيَانَةً لِلشَّيْخِ، فَيَجِبُ نَصْحُهُ بِلُطْفٍ، وَإِذَا وَقَفَ عَلَى مَكَانٍ فِي الْكِتَابِ الْمُحْفُوظِ مِنْهُ كُتِبَ قِبَالَتُهُ بَلَّغَ الْعَرَضِ أَوْ التَّصْحِيحِ (٣)، وَيَبْدَأُ بِالْدَّرْسِ الْأَهَمِّ بِالْأَهَمِّ مِنَ الْعُلُومِ.

ومنها: أَنْ يَذْكَرَ بِمُحْفَوظَاتِهِ وَيَدِيمَ الْفِكْرَ فِيهَا وَيَعْتَنِيَ بِمَا يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ، وَيَقْسِمُ أَوْقَاتَ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ (٤) وَيَغْتَنِمُ مَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِهِ (٥)، وَأَجُودَ الْأَوْقَاتِ لِلْحِفْظِ الْأَسْحَارَ، وَلِلْبَحْثِ الْإِبْكَارَ، وَلِلْكِتَابَةِ وَسْطَ النَّهَارِ، وَلِلْمُطَالَعَةِ

(١) تَذْكَرَةُ السَّامِعِ ١١٧ - ١١٨.

(٢) تَذْكَرَةُ السَّامِعِ ١٢١.

(٣) تَذْكَرَةُ السَّامِعِ ١٢٦.

(٤، ٥) تَذْكَرَةُ السَّامِعِ ٧٢، وَقَالَ الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّارِي: وَاللَّهُ إِنِّي أَنَا سَفٍ فِي الْفَوَاتِ عَنِ الْإِسْتِغْلَالِ الْعِلْمِ فِي وَقْتِ الْأَكْلِ، فَإِنَّ الْوَقْتَ وَالزَّمَانَ عَزِيزٌ.

والمذاكرة الليل^(١) وقال الخطيب^(٢): أجود أو— الحفظ الأسحار^(٣)، ثم وسط النهار، ثم الغداة، وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع^(٤)، وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات، قال: وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والحضرة والأنهار وقوارع الطرق وضجيج الأصوات، لأنها تمنع من خلو القلب^(٥) غالباً.

ومنها: أن يبكر بدرسه لخبر: بُورِكَ لَأُمْتِي فِي بُكُورِهَا^(٦)، ولخبر: اغدُوا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُبَارِكَ لَأُمْتِي فِي بُكُورِهَا^(٧)، ويجعل ذلك يوم الخميس رواه الطبراني بسند ضعيف^(٨)، وفي رواية: بُورِكَ لَأُمْتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ سَبْتِهَا وَخَمِيسِهَا^(٩)، وجاء في الخبر أنه عليه السلام قال: اطلبوا العلم يوم الإثنين فإنه يسر لطلبه^(١٠)، وروى بعضهم في يوم الأربعاء خبر: مَا مِنْ شَيْءٍ

(١) قال على بن الحسن بن شقيق: قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث، فذاكرته، فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذن، واذن للفجر.

(٢) تذكرة السامع ٧٣.

(٣) قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: أصفى ما يكون ذهن الإنسان في وقت السحر.

(٤) تذكرة السامع ٧٣. (٥) تذكرة السامع ٧٣.

(٦) مجمع الزوائد ٦١/٤، والفردوس بمأثور الخطاب ٣٠/٢، فتح الباري ١١٤/٦، وتحفة الاحوذى

٣٣٨/٤، وفيض القدير ٢٠٨/٣، وكشف الخفاء ٢١٤/١، ومسنند أبي يعلى ٢٨١/٩، والترغيب

والترهيب ٣٣٦/٢.

(٧) الكامل في ضعفاء الرجال ٣٦/١، والعلل المتناهية ٣١٣/١، ٣٢٣/١.

(٨) المعجم الأوسط للطبراني ٢٥٦/٥ و ١١٣.

والطبراني هو: أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب، اللخمي الشامي: من كبار المحدثين،

أصله من طبرية بالشام، وإليها نسبته، ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز وكثير غيرها، وتوفي

بأصبهان سنة ٣٦٠هـ، وفيات الأعيان ٤٠٧/٢، والسير ١١٩/١٦، وطبقات الحفاظ ٣٨٨.

(٩) كشف الخفاء ٢١٤/١ و ٣٤٢، وفيض القدير ٢٠٨/٣، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢٩٣/١،

٣٣٦/٦، ٣٥٣/٥.

(١٠) الفردوس بمأثور الخطاب ٣٠/٢، وتحفة الاحوذى ٣٣٨/٤، ومسنند الشهاب ٣٤٢/٢، وفيض

القدير ٥٤٣/١، والمجروحين ١٥٥/١، ومجمع الزوائد ٦١/٤ - ٦٢، والمعجم الصغير ٦٠/١،

والعلل المتناهية ٣٢٣/١.

بَدِئَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا وَقَدْ تَمَّ^(١)، وَنُقِلَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَوْفِقُ بِدَايَةِ الْإِسْتِغَالِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ^(٢)، وَرَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ مَشَائِخِنَا يَتَحَرَّوْنَ الْإِبْتِدَاءَ يَوْمَ الْأَحَدِ، فَيَنْبَغِي مَزِيدَ الْإِعْتِنَاءِ بِهَذِهِ الْأَيَّامِ وَهَذِهِ الْأَوْقَاتِ إِلَّا أَنْ تَجْرِيَ عَادَةُ الشَّيْخِ بِغَيْرِ مَا ذَكَرَ، فَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ^(٣).

ومنها: أَنْ يَبْكِرَ^(٤) بِسَمَاعِ الْحَدِيثِ وَلَا يُهْمِلُ الْإِسْتِغَالَ بِهِ وَبِعِلْمِهِ، وَالنَّظَرُ فِي إِسْنَادِهِ وَرِجَالِهِ وَمَعَانِيهِ وَأَحْكَامِهِ وَفَوَائِدِهِ وَلُغَتِهِ وَتَوَارِيخِهِ، وَيَعْتَنِي أَوَّلًا^(٥) بِصَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ، ثُمَّ بِبَقِيَّةِ الْكُتُبِ الْأَعْلَامِ الْأَصُولِ الْمُعْتَمَدَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ كَمَوْطَأِ مَالِكَ^(٦) وَسَنَّ أَبِي دَاوُدَ^(٧) وَالنَّسَائِيَّ^(٨) وَابْنَ مَاجَهَ^(٩) وَجَامِعَ التِّرْمِذِيِّ^(١٠) وَمُسْنَدَ الشَّافِعِيِّ^(١١)، وَيَعْتَنِي بِالْإِدْرَايَةِ عَنِ الرَّوَايَةِ^(١٢) قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ نَظَرَ الْحَدِيثَ قَوِيَّتْ حُجَّتُهُ، وَلَأَنَّ الْإِدْرَايَةَ هِيَ الْمَقْصُودُ بِنَقْلِ الْحَدِيثِ وَتَبْلِيغِهِ^(١٣).

ومنها: أَنْ يَعْتَنِيَ بِرَوَايَةِ كُتُبِهِ الَّتِي قَرَأَهَا أَوْ طَالَعَهَا لَا سِيَّمَا مُحْفُوظَاتِهِ، فَإِنَّ الْأَسَانِيدَ أَنْسَابَ الْكُتُبِ، وَأَنْ يَحْتَرِصَ عَلَى كَلِمَةٍ يَحْفَظُهَا مِنْ شَيْخِهِ أَوْ شَعْرَ

(١) فيض القدير ٤٦/١.

(٢) انظر تعليم المتعلم للزرنوجي ٦٨ - ٦٩.

(٣) أدب الإملاء والاستملاء ٢٣ - ٢٤.

(٤) تذكرة السامع ١٢٦.

(٥) تذكرة السامع ١٢٧.

(٦ - ١٠) هذه الكتب هي دواوين الأحاديث النبوية، والكتب الأعلام، وهي الأصول المعتمدة في معرفة الأحاديث النبوية، ونعم المعين للمتعلم أيضًا كتاب السنن الكبير لابي بكر البيهقي، وصحيح ابن حبان البستي، ومن ذلك المسانيد، كمسند الإمام أحمد، وابن حميد، والطيالسي، والبخاري، ومعجم الطبراني الثلاثة: الكبير والوسط والصغير، وغير ذلك كثير...

(١١) وهو مطبوع مشهور.

(١٢) في تذكرة السامع ١٣١: «بل يعتنى بالإدراية أشد من اعتنائه بالرواية والإدراية: علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد منها مبتدئًا على قواعد العربية، وضوابط الشريعة، مطابقًا لأحوال النبي ﷺ».

(١٣) تذكرة السامع ١٣٣.

يُنشده أو يُنْشيه أو مؤلَّف يؤكِّفه لِيروى ذلك منه، ويجتهد على روايات الأمور المهمة كالْفِقْه والفوائد النفسية والمسائل الرقيقة، والفروع الغريبة وحل المشكلات والفروق في الأحكام المشابهات من جميع الأنواع ويعلق ذلك بالكتابة، قال عليه السلام : قِيدُوا الْعِلْمَ، قلت: وما تقييده؟ قال: كِتَابَتُهُ^(١)، وكان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي صلى الله عليه وآله فيسمع منه الحديث فيُعجبه ولا يحفظه، فشكى ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام : اسْتَعِنْ يَمِينِكَ وَأَوْمَأْ بِيَدِهِ^(٢) أي خُطًّا، وعن عمر رضي الله عنه : قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ^(٣) وعن معاوية بن قره^(٤) قال: كان يقال: من لم يكتب علمه لم يُعَدَّ علمه علمًا، وروى عن الحسن بن علي^(٥) رضي الله عنه أنه دعا بنيهِ وبني أخيه فقال: إِنَّكُمْ صَغَارُ قَوْمٍ وَيُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا كِبَارُ قَوْمٍ آخَرِينَ فَتَعْلَمُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ أَنْ يَحْفَظَهُ فَلْيَكْتُبْهُ وَلْيَضَعْهُ فِي بَيْتِهِ^(٦).

وينبغي بل يتعين^(٧) أن تكون همته في طلب العلم عالية، فلا يكتفى بقليل العلم مع إمكان كثيره، ولا يقنع من إرث الأنبياء بيسيره، ولا يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها، ولا يشغله الأمل والتسويق عنها، فإن للتأخير آفات، ولأنه

(١) المعجم الكبير ٢٤٦/١، ومعجم الزوائد ١٥٢/١، ومسنَد الشهاب ٣٧٠/١.

(٢) فيض القدير ٦٢٨/١، وكشف الخفاء ١٢٩/١.

(٣) مجمع الزوائد ١٥٢/١، والطبقات الكبرى ٢٢/٧، وفيض القدير ٦٩٣/٤.

(٤) هو أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس، ابن إياس بن هلال بن رثاب: مُحدث ثقة من كبار التابعين، لقى كثيرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله توفي سنة ١١٣هـ، المير ١٥٣/٥ تهذيب التهذيب ٢١٦/١٠.

(٥) هو أبو محمد، الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي: خامس الخلفاء الراشدين، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أكبر أولادها وأولهم، ولد في المدينة المنورة، وتوفي مسمومًا بها سنة ٥٠هـ.

(٦) سنن الطرمي ٤٤٣/١، حديث رقم ٥٢٨.

(٧) تذكرة السامع ١٣٣.

إِذَا حَصَّلَهَا فِي الزَّمَنِ الْحَاضِرِ نَفَعَتْهُ فِي الزَّمَانِ الْآتِ^(١)، وَيَغْتَنِمُ وَقْتَ^(٢) الْفَرَاغِ وَالنَّشَاطِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الْاِسْتِتَاجِ وَالْاِسْتِنْبَاطِ، قَبْلَ عَوَارِضِ الْبَطَالَةِ، وَمَوَانِعِ الرُّئَاسَةِ وَالْمَالَةِ، وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ نَظَرِ نَفْسِهِ بَعِينَ الْكَمَالِ، وَالْاِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْمَشَايِخِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْجَهَالِ^(٣)، وَيَلْزِمُ حُلُقَةَ شَيْخِهِ فِي التَّدْرِيسِ وَالْإِقْرَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهُ التَّحْصِيلُ إِلَّا خَيْرًا، كَمَا قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ سَلَفَ: وَلَا تَسْبِغْ^(٤) مِنْ طَوْلِ صَحْبَتِهِ فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا مَنَفْعَةٌ، وَلَا يَقْتَصِرُ^(٥) عَلَى سَمَاعِ دَرْسِهِ فَقَطْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ قُصُورِ الْهَمَةِ، بَلْ يَعْتَنِي بِسَائِرِ الدُّرُوسِ شَرْحًا وَتَعْلِيقًا وَنَقْلًا إِنْ احْتَمَلَ ذَهَنُهُ حَتَّى كَانَ كُلُّ دَرَسٍ مِنْهَا لَهُ.

وَأَمَّا دُرُوسُ التَّقْسِيمِ فَشَأْنُهَا كَدَرَسٍ وَاحِدٍ فَمَنْ لَمْ يُطِقْ ضَبْطَهَا لَا يَصْلُحْ لِدُخُولِهِ فِيهَا، وَإِذَا حَضَرَ^(٦) مَجْلِسَ الشَّيْخِ فَيُسَلِّمُ عَلَى الْحَاضِرِينَ بِصَوْتٍ يُسْمَعُهُمْ وَيَخْصُ الشَّيْخَ بِمَزِيدِ تَحِيَّةٍ، وَكَذَا يُسَلِّمُ إِذَا انْصَرَفَ، قَالَ ابْنُ جُمَاعَةَ: وَعَدَ بَعْضُهُمْ حَلْقَ الْعِلْمِ فِي حَالِ أَخْذِهِمُ الْعِلْمَ مِنْهُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَا يُسَلِّمُ فِيهَا، وَهَذَا عَلَيْهِ الْعَمَلُ لَكِنْ مَحَلُّهُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ مُشْتَغَلٍ بِحِفْظِ دَرْسِهِ، وَإِذَا سَلِمَ^(٧) فَلَا يَتَخَطَّى رِقَابَ الْحَاضِرِينَ إِلَى قَرَبِ الشَّيْخِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَنَزَلَتُهُ، بَلْ

(١) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٣٤.

(٢) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٣٤.

(٣) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٣٤ - ١٣٥.

(٤) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٤٢.

(٥) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٤٢.

قَالَ الْإِمَامُ اللَّهْمِيُّ: إِنْ الشَّيْخَ مُحِبُّ الدِّينِ (النُّوَوِيُّ) ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ دَرَسًا عَلَى مَشَايِخِهِ شَرْحًا وَتَصْحِيحًا، دَرَسِينَ فِي الْوَسِيطِ، وَدَرَسًا فِي الْمَهْدَبِ، وَدَرَسًا فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ، وَدَرَسًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَدَرَسًا فِي اللَّعْمِ لِابْنِ جَنَى، وَدَرَسًا فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ، وَدَرَسًا فِي التَّصْرِيفِ، وَدَرَسًا فِي أَصُولِ الْفَقْهِ، وَدَرَسًا فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَدَرَسًا فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَقَالَ النُّوَوِيُّ: وَكَنتُ أَعْلَقُ جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ شَرْحٍ مُشْكَلٍ، وَوُضُوحٍ عِبَارَةٍ، وَضَبْطٍ لَفَةٍ، وَبَارَكَ اللَّهُ فِي وَقْتِي.

تَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ ٢٥١/٤.

(٦) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٤٦.

(٧) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ ١٤٦.

يجلس حيث انتهى به المجلس كما ورد في الحديث^(١)، فَإِنْ قَدَّمَهُ الشَّيْخُ والحاضرون فليَتَقَدَّمْ لانتِفَاعِ الحاضرين بِمَذَا كَرَّتَهُ مَعَ الشَّيْخِ أَوْ لِكِبَرِ سِنِّهِ أَوْ لِصَلَاحِ^(٢).

ومنها: أن يحرص على قُربه من الشيخ ليفهم منه بلا مشقة بشرط أن لا يرتفع على أفضل منه^(٣)، ولا يؤثر بقُربه من الشيخ إلا من هو أولى منه، ولا يقرب من يتسبب فيه إلى قلة أدب، وإذا سبق التلميذ إلى مكان في مجلس الدرس وألفه كان أحقَّ به، فليس لغيره أن يُقيمه منه، ولا يَظُلُّ حقَّه بانقطاعه يوماً أو يومين مثلاً لضرورة إذا حضر، والكلام فيه كالكلام في محترف إذا أَلَفَ مكاناً من شارع، والمسألة مشروحة في محلها من كُتب الفقه، واعلم أنه إذا كان الشيخ في صدر المكان فأفضل الجماعة أحقَّ بما على يمينه ثم شماله، وقد جرت العادة^(٤) في مجالس التدريس بجلوس المتميزين قبالة وجه المدرس والمبجلين من معيد^(٥) وزائر عن يمينه ويساره^(٦)، وينبغي أن يتأدَّب^(٧) مع رفقته

(١) عن جابر بن سمرة قال: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جُلَسْنَا أَحَدُنَا حَيْثُ انْتَهَى، الأدب المفرد ١٦٤.

(٢) تذكرة السامع ١٤٧. (٣) تذكرة السامع ١٤٧. (٤) تذكرة السامع ١٤٩.

(٥) المبجلون: هم المعظمون ممن حضر من العلماء، والتميزون من الطلبة عند الشيخ علماً وفضلاً، أو الشيخ الكبير، والسيد العظيم. تاج العروس (بجل).

والمعيد: هو الذي يعيد الدرس بعد إلقاء الشيخ الخطبة على الطلبة، كانه معين الشيخ على نشر علمه وتنشيت خطبائه وإملائه في أذهان الطلاب شرحاً وبسطاً، ومعاون للطلبة في إعادة المحفوظات والمراجعة في المذكرات، فهو دون الشيخ وأعظم درجة من عامة الطلبة، وفي تاج العروس: وقال شمر: المعيد من الرجال العالم بالأمور الذي ليس بغمر، والحافق المجرب.

(٦) قال المحافظ جعفر بن محمد: ما رأيت في المحدثين أهيب من محمد بن رافع كان يستند إلى شجرة الصنوبر في داره، فيجلس العلماء بين يديه على مراتبهم، وأولاد الطاهرية ومعهم الحدم، كأن على رؤوسهم الطير. تذكرة الحفاظ ٥٨/٢.

وذكر ابن بطوطة في رحلته ١٦٧، والمدرسة المستنصرية ببغداد. فقال: يقعد المدرس وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه.

وانظر تذكرة السامع ١٥٠.

(٧) تذكرة السامع ١٥٢.

وحاضري مجلس شيخه، فإن تأدبه معهم تأدب مع الشيخ واحترام له، ولا يقيم أحداً من مجلسه ولا يزاحمه ولا يقبل من يؤثره بمجلسه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا^(١)، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له الرجل من مجلسه لم يقعد فيه، ولا يجلس وسط الحلقة ولا قدام أحدٍ بلا ضرورة^(٢)، وينبغي أن يكون حراماً شديداً لأن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة^(٣).

ومنها: أن لا يجلس بين أخوين أو أبٍ وابن أو قريبين أو متصاحبين إلا برضاهما معاً، قال ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ أن يجلس الرجل بين الرجلين إلا بإذنهما^(٤)، وإذا جاء قادم أن يرحبوا له ويوسعوا له ويتفسحوا لأجله ويكرموا بما يكرم به مثله^(٥)، ولا يخرج عن بنية الحلقة بتقدم أو تأخر، ولا يتكلم أثناء درس غيره أو درسه بما لا يتعلق به أو يقطع عليه بحثه، ولا يُشارك أحد من الجماعة أحداً في حديثه^(٦)، قال بعض الحكماء: من الأدب أن لا يشارك الرجل في حديثه وإن كان أعلم به منه^(٧)، وأنشد الخطيب في هذا المحل^(٨) (من الرجز):

* ولا تُشارك في الحديث أهله *

(١) رواه البخاري ٢٣١٣/٥، وسنن الترمذي ٨٨/٥، وتحفة الاحوذى ٢٠/٨، وتفسير القرطبي ٢٩٨/١٧.

(٢) الأدب المفرد ٣٩٥/١.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٢٣٤/٣ و ٢٣٥، وسنن أبي داود ٢٥٨/٤، والجامع لأخلاق الراوى ١٧٦/١، وكشف الخفاء ٣٩٤/١.

(٤) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما. أبو داود ١٨٦/٢.

(٥) تذكرة السامع ١٥٣.

(٦) تذكرة السامع ١٥٣.

(٧) تذكرة السامع ١٥٦، والجامع لأخلاق الراوى ٣٠٤/١.

(٨) في كتابه: الجامع لأخلاق الراوى ٣٠٤/١ وانظر أيضاً تذكرة السامع ١٥٦.

* وإن عرفت فرعه وأصله^(١) *

ومنها: إذا أساء بعض الطلبة أدباً على غيره لم يتهزه غير الشيخ إلا بإشارته^(٢)، وإن أساء أحد أدباً على الشيخ تعين على الجماعة انتهاره ورده والانتصار للشيخ بقدر الإمكان وفاء لحقه^(٣)، وإذا أراد القراءة على الشيخ يراعى نوبته^(٤) تقديمًا وتأخيرًا، روى أن أنصارياً جاء إلى النبي ﷺ يسأله وجاء رجل من ثقيف فقال رسول الله ﷺ: يَا أَخَا ثَقِيفٍ إِنَّ الْأَنْصَارِيَّ قَدْ سَبَقَكَ بِالْمَسْأَلَةِ فَاجْلِسْ كَيْمَا نَبْدَأَ بِحَاجَةِ الْأَنْصَارِيَّ قَبْلَ حَاجَتِكَ^(٥) ولا يؤثر بنوبته غيره، فإن الإيثار بالقرب مكروه^(٦)، قال الخطيب: يستحبُّ للسابق أن يقدم على نفسه من كان غريباً لتأكيد حرمة^(٧)، وكذلك^(٨) إذا كان للمتقدم حاجة ضرورية وعلمها المتقدم يستحبُّ له تقديمه عليه، وتحصيل النوبة بتقديم الحضور، ولا يسقط حقه بذهابه إلى ما يُضطر إليه من قضاء حاجة وتجديد وضوء إذا عاد بعده، وإذا تساوى وتنازعا أقرع بينهما، ومعبد المدرسة إذا شرط عليه إقراء أهلها فيها في وقت، فلا يقدم عليهم الغرباء بغير إذنهم، ويكون جلوسه^(٩) بأدب مع شيخه، ويحمل كتابه بنفسه ولا يضعه حال القراءة مفتوحاً، بل يحمله بنفسه بيديه، ويقرأ منه بعد الاستعاذة والبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وآله وصحبه، ثم يدعو للشيخ^(١٠) ولوالديه ومشايخه وللعلماء ولنفسه ولسائر المسلمين، وكذلك يفعل كلما شرع في قراءة

(١) والبيت بلا نسبة في الجامع لأخلاق الراوى ١/٣٠٤، ومثله في تذكرة السامع ١٥٦.

تذكرة السامع ١٥٦.

(٣) تذكرة السامع ١٥٤.

(٢) تذكرة السامع ١٥٤.

(٥) تذكرة السامع ١٥٩.

(٤) تذكرة السامع ١٥٨.

(٧) تذكرة السامع ١٥٩.

(٦) تذكرة السامع ١٥٩.

(٩) تذكرة السامع ١٦٠.

(٨) تذكرة السامع ١٥٩.

(١٠) تذكرة السامع ١٦٢.

درس أو مطالعة أو مقابلة في حضور الشيخ أو في غيبته، ويترحم^(١٣) على صاحب الكتاب عند قراءته، وإذا فرغ من الدرس دعا للشيخ أيضًا، فإن ترك الطالب الاستفتاح بما ذكرناه جهلاً أو نسياناً ذكره الشيخ أو علمه إياه، فإنه من أهم الآداب، وقد ورد الحديث الحسن في ابتداء الأمور المهمة باسم الله ويحمله^(١٤).

ومنها: أن يذاكر من يرافقه من مواظبي مجلس الشيخ بما وقع فيه من الآداب والفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك، ويعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم^(١)، وينبغي الإسراع بها بعد القيام من المجلس قبل تفرق الأذهان وتشتت الخواطر^(٢)، قال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة بالغلم لم ينس ما علمه^(٣)، وقال الشاعر (من الطويل):

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه

ولم يستفد علمًا نسي ما تعلمه^(٤)

فكم جامع للكتب في كل مذهب

يزيد مع الأيام في جمعه عمى

وأجود الأوقات للمذاكرة الليل كما قال بعضهم^(٥)، وكان جماعة يتدثرون من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح^(٦)، فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه ليعلق ذلك بخاطره إذا كرره، فإن تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان، فإذا امثل ذلك وتكاملت أهليته، واشتهرت

(١) تذكرة السامع ١٦٢.

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوى ٤٠٧/١، وضعيف الجامع الصغير ٣٤٣، وفيض القلير ١٩١/٣ - ١٩٢، وقال عنه الألباني: ضعيف جدًا.

(٥) فيض القلير ٥٤١/٢.

(٤) تذكرة السامع ١٤٣.

(٣) تذكرة السامع ١٤٣.

(٦) اليتان بلا نسبة في جامع بيان العلم ٤٣٠/١ و ٤٤٣/١.

(٧، ٨) تذكرة السامع ١٤٤ - ١٤٥.

فضيلته اشتغل بالتصنيف، والجمع والترصيف، لاكتسابه من النهاية حلة التشریف^(١).

فصل

في التصنيف^(٢)

ينبغي لمن كملت أهليته، وتمت فضيلته أن يعتنى بالتصنيف، ويجد في الجمع والتأليف، مُحققًا مسائله، مُثبتًا نقوله واستنباطه، متحررًا إيضاح العبارة وإيجازها، ولا يوضح إيضاحًا ينتهي إلى الركة، ولا يوجز إيجازًا ينتهي إلى المحق والاستغلاق، ولا يطول تطويلًا يؤدي إلى الملالة، ويجتنب الأدلة الضعيفة، والتعليقات الواهية، ويبين المشكلات، ويجيب عن التعقبات ويفك العضلات، ويستوعب معظم أحكام ذلك الفن، ويستعمل القواعد والنوادر، فبذلك يظهر له حقائق العلم ودقائقه ويثبت عنده العلم ويرسخ إن أكثر التفهيم والمطالعة، والتنقيب والمراجعة، والاختلاف من كلام الأئمة ومتفقه وواضحه ومُشكله وصحيحه وضعيفه وراجحه، إلى غير ذلك، من سلوك هذه المسالك، فبذلك يتصف المحقق بصفة المجتهدين، ويرتفع عن درجة الجمود والتقليد وينخرط في سلك الأئمة المحققين، قال الخطيب البغدادي: التصنيف يُثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر، وجزيل الأجر، ولا يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له فإن ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه وليحذر من إخراج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه، وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر، والمراد أن لا يكون هناك مصنف يغنى عن مُصنّفه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها فليصنّف من جنسه ما يزيد زيادات يختلف بها مع ضم ما فاته من الأساليب، وليكن تصنيفه

(١) تذكرة السامع ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) تذكرة السامع ص ١٣٦، وكتاب العلم للنوري ص ٩١.

فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج إليه، وليعتن بعلم المذهب فإنه من أعظم الأنواع نفعاً، وبه يتسلط المتمكن على المعظم من باقى العلوم، قال صاحب الأحوذى: ولا ينبغي لمصنف يتصدى إلى تصنيف أن يعدل إلى غير صنفين: إما أن يخترع معنى، أو يستدع وضعاً ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد للورق والتحلل بحلية السرّ وهذا لا ينافى ما ذكره بعضهم من أن رتب التأليف سبعة: استخراج ما لم يسبق إلى استخراجه، وناقص فى الوضع يتمم نقصه، وخطأ يصحح الحكم فيه، ومستغلق بإجحاف الاختصار يشرح أو يتمم بما يوضح استغلاقه، وطويل يُبدد الذهن طوله يختصر من غير إغلاق ولا حذف لما يخل حذفه بغرض المصنف الأول، ومتفرق يجمع أشات تبدده على أسلوب صحيح قريب، ومشور غير مرتّب يرتب ترتيباً يشهد صحيح النظر أنه أولى فى تقريب العلم للمتعلمين من الذى تقدّم فى حسن وضعه وترتيبه وتبويبه، فهذا كالشرح لما ذكره صاحب الأحوذى والله أعلم، قال العلامة الشيخ بدر الدين بن جماعة: ومن الناس من ينكر التصنيف والتأليف فى هذا الزمان على من ظهرت أهليته ولا وجه لإنكاره إلا التنافس، وإلا فمن تصرف فى ورقه ومداده بكتابة ما شاء من أشعار وحكايات مباحة أو غير ذلك لا ينكر عليه، فلم إذا تصرف بتسويد ما يتفّع به من علوم الشريعة ينكر ويستهجى؟ أما من لا يتأهل لذلك فالإنكار عليه متّجه.

ومما نقل عن فعل الأئمة من آداب التصنيف أنه كان المزنّى^(١) إذا فرغ من مسألة من المختصر صلى ركعتين، وكان أبو إسحاق الشيرازى^(٢) شيخ أبى

(١) هو أبو إبراهيم المزنّى، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل: صاحب الإمام الشافعى، من أهل مصر، كان زاهداً عالماً مجتهداً قوى الحجة، وهو إمام الشافعيين، قال الشافعى: المزنّى ناصر مذهبه، وقال فى قوة حجته: لو ناظر الشيطان لغلبه، توفى فى سنة ٢٦٤هـ.

وفيات الاعيان ٢١٧/١ والاعلام ٣٢٩/١.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن على بن يوسف الفيروز آبادى الشيرازى: العلامة المناظر، ظهر =

الوفاء بن عقيل^(١) لا يَخْرُجُ إلى فقيرٍ إِلَّا إذا أضر النية، ولا يتكلم في مسألة إِلَّا إذا قَدِمَ الاستعانة بالله تعالى؛ ولا صنف مسألة إِلَّا بعد أن صلى ركعات، وما روى عن الشيخ أبي إسحاق أيضًا أنه قال لبعض من يخدمه: جعلت على نفسي أنني كلما صنفت مسألة في المذهب أو المذهب قرأت مائة مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم سألت الله أن يُعيد بركتها على تلك المسألة ورغبت إليه في الانتفاع بها، وكان الشيخ أبو إسحاق يصلي ركعتين عند فراغ كل فصل من المذهب^(*)، وكان ابن الأَرغِيَانِي^(٢) من كبار أئمتنا ما يعلق شيئًا من المذهب إِلَّا على طهارة^(٣)، وكان الإمام محمد بن إسماعيل البخاري لا يضع حديثًا في كتاب الصحيح إِلَّا اغتسل وصلى ركعتين^(٤).

وقد جرت عادة أئمتنا بعقد مجلس أو عمل وليمة عند ختم كتاب معتبر يؤلفونه أو يحفظونه، وأصل ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلم البقرة في بضع عشرة سنة^(٥)، وفي رواية: اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورًا شكرًا

= نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية، فكان مرجع الطلاب، ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة، عاش فقيرًا صابرًا، ينظم الشعر، وله تصانيف كثيرة، توفي في سنة ٤٧٦ هـ طبقات السبكي ٢١٥/٤ والاعلام ٥١/١.

(١) هو أبو الوفاء البغدادي، على بن عقيل بن محمد الطقوي: عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، كان قوى الحجة، اشتغل بمذهب المعتزلة في حياته، توفي في سنة ٥١٣ هـ، الاعلام ٣١٣/٤.

* انظر أقوال الشيرازي في: طبقات الشافعية الكبرى ٢١٧/٤.

(٢) هو سهل بن أحمد بن علي، الحاكم أبو الفتح الأَرغِيَانِي: فقيه شافعي، كان إمامًا فاضلاً، حسن السيرة، تولى القضاء فترة، ثم ترك القضاء وانزوى، بعدما حج، واشتغل بالعبادة، وتوفي في قريته (بان) سنة ٤٩٩، وأَرغِيَان: اسم لثاحية من نواحي نيسابور، بها عدة من القرى، منها قرية (بان) ولذلك يقال له: الثاني، والأَرغِيَانِي.

وفيات الأعيان ٤٣٣/٢ وطبقات الشافعية ٣٩١/٤.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣٩١/٤، وانظر أيضًا مثل هذا الخبر في تعليم المتعلم ٥١.

(٤) فتح الباري (المقدمة) ٥١٣، وسير اعلام النبلاء ٤٠٤/١٢.

(٥) القرطبي ٤٠/١.

لله تعالى^(١)، وقد اتفق ذلك للجبر شيخ الإسلام ضياء الدين عبد الملك إمام الحرمين عند ختم كتابه الحفيل الجليل المسمى بنهاية المطلب^(٢)، فإنه عقد محلاً لتتمته حضره الأئمة والكبار، وختم الكتاب على رأس الإملاء والاستملاء وتبجح الحاضرون، لذلك وضع وليمة لحاضري مجلسه، حكاة جماعة منهم ابن السبكي^(٣) في طبقاته^(٤)، ولما فرغ شيخ الإسلام ابن حجر شرحه على البخاري المسمى بفتح الباري^(٥) عمل وليمة حافلة بالمكان الذي بناه المؤيد^(٦) خارج القاهرة بين كوم الريش ومنية الشيرج، ويسمى بالتاج والسبع وجوه في يوم السبت ٨ شعبان سنة ٨٤٢هـ، وكان المصروف في الوليمة على ذلك نحو خمسمائة دينار^(٧)، سئل الإمام أبو عبد الله التلمساني^(٨) عن كثرة تصانيف هذه الأمة واشتغالها بالتصنيف فقال: هذا من فوائد تحريم الخمر عليها وهو قول بديع ومما يلحق بذلك ختم إلقاء الكتب أيضاً وهي سنة كثير من العلماء المعتمدين الورعين وفي ذلك مصالح وحكم لطيفة تنوف عن الحصر والضبط والله يعلم المفسد من المصلح.

(١) القرطبي ١/ ٤٠.

(٢) هو كتابه: (نهاية المطلب في دراية المذهب) انظر الخبر في طبقات الشافعية الكبرى ١٧٧/٥، ١٧٨.

(٣) هو أبو نصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي: قاضي القضاة، المؤرخ الباحث، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها بالطاعون سنة ٧٧١هـ، قال ابن كثير: جرى عليه من المعجن والشدائد ما لم يجز على قاض مثله. الدرر الكامنة ٣/ ٣٩، والأعلام ١٨٤/٤.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ١٧٧/٥ - ١٧٨.

(٥) بشرح صحيح البخاري، وقد طبع في ١٤ مجلداً، وهو من أهم الشروح، وليس بعده شرح.

(٦) هو الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، أبو النصر، من ملوك الجراكسة بمصر والشام، المتوفى سنة ٨٢٤هـ، الأعلام ٣/ ١٨٢، وخطط المقريري ١/ ٤٨١.

(٧) انظر نزهة النفوس والأبدان ٦١/٤ - ٦٤، والذيل على رفع الإصر ص ٨٠.

(٨) هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن علي الإدريسي الحسيني العلوي، المعروف بالشراف التلمساني: باحث من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب، نشأ بتلمسان، ورحل إلى فاس، يدرس فيها إلى أن توفي فيها سنة ٧٧١هـ. الأعلام ٥/ ٣٢٧.